الدكتور راشد المبارك

التطرُّف

...خبز عالمي



التطرُّف

...خبز عالمي

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

تطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

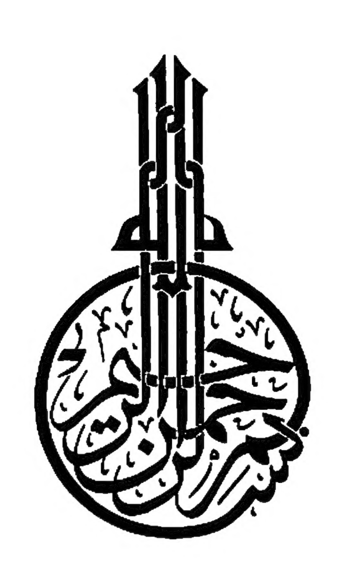
توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

الدكتور راشد المبارك

التطرُّف

...خبز عالمي





مدخل

إذا كان قارئ هذا البحث مِمّن قُدِّر له أَنْ قرأ كتاب (**فلسفة الكراهية**)[١]، فقد يظهَرُ له أنّ هناك شيئاً من التناقض أو التعارض بين محتوى هذا الكتاب ومؤداه، وبين محتوى الكتاب الأول وغايته، فقد جاء الكتابُ الأول دعوةً إلى محاسبة النفس، وإنكاراً لما نُلحُّ عليه ونكرره في ديمومة وإصرار من إصدار **شهادة براءة للذات**، فالذات لدى كثير منّا لا تقع في خطأ، ولا تزاوِلُ ذنباً، عمداً كان ذلك أو غفلة أو سهواً، ولكنّه (الآخر) الذي لا ينفكُّ عن معاداته لنا، وعدوانه علينا، إنّ الذات مبرَّأةٌ دائماً من الأخطاء، و(الآخر) مقترِفٌ دائماً لها، لقد كان موقفنا ـ أي كثير منّا ـ صياماً لا مغرب له عن محاورة الذات ومحاسبتها، بل

معاتبتها ومناقشتها فيما عرفتْ وألِفتْ من مواقفَ وأفكارٍ وممارساتٍ، لقد كنّا نزاوِلُ ذلك مصادمةً لما جاء في قول الله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[2].

فالكتاب **الأول** جاء دعوةً إلى فهمٍ أفضلَ لتقويمِ موقفِ (الآخر) منّا في ما حَمَلَه من إرثِ التاريخ البعيد، وأحداثِ الماضي القريب في إطارِ ظروفِ تلك الأحداث ودواعيها، ليس تبرئةً لذلك (الآخر) من نيّةِ العدوان، أو الوقوع فيه، ولكنْ مراجعةً لأسبابِ هذا العدوان، **إيجاباً** من ناحيةِ كونِ عدوانِ (الآخرِ) في بعضِ حالاته ليسَ فعلاً، ولكنّه ردُّ فعل، أو **سلباً** من ناحية تأهُّلِنا في كثير من فترات تاريخنا لذلك العدوان بما نحن عليه من ضَعْفٍ يُغري بنا (الآخر).

ذلك ما جاء في الكتاب الأول، وتلك كانت رسالته، على حين أنّ هذا البحثَ دراسةٌ لا تخلو

من الإحصاء والاستقصاء لمواقف لـ(الآخر) وشواهد عليه، فيها كثيرٌ من العدوانية على الغير، و(الغير) هنا انحصر في مَنْ يدينُ بالإسلام، من هنا يأتي ما قد يبدو تعارضاً بين محتوى الكتابين، والحقيقة ألا تعارض بين ما جاء في الكتاب الأول والثاني، ولكنّها مقتضيات الموضوعية، وما توجبه على الذات من شروط العدالة التي توجِبُ محاسبةَ النفس وإنصافَ (الآخر).

في القرون الثلاثة الأخيرة من العشرين قرناً الماضية نشأت في الغرب **أصولية دينية** تستمدُّ بواعثها وأشواقها، بل ونشواتها الروحية من بعض نصوص (العهد القديم)، تؤمن بذلك إيماناً أول شروطه إسقاط العقل، والتخلّي عن وقاره وشروطه، تتحمَّسُ لذلك، وتدعو إليه، وترى أنَّ ما جاء في ذلك الموروث مهما كان مصادِماً لشروط العقل واعتدال النفس هو إرادةُ (الرب) الخيِّرة وتدبيره...

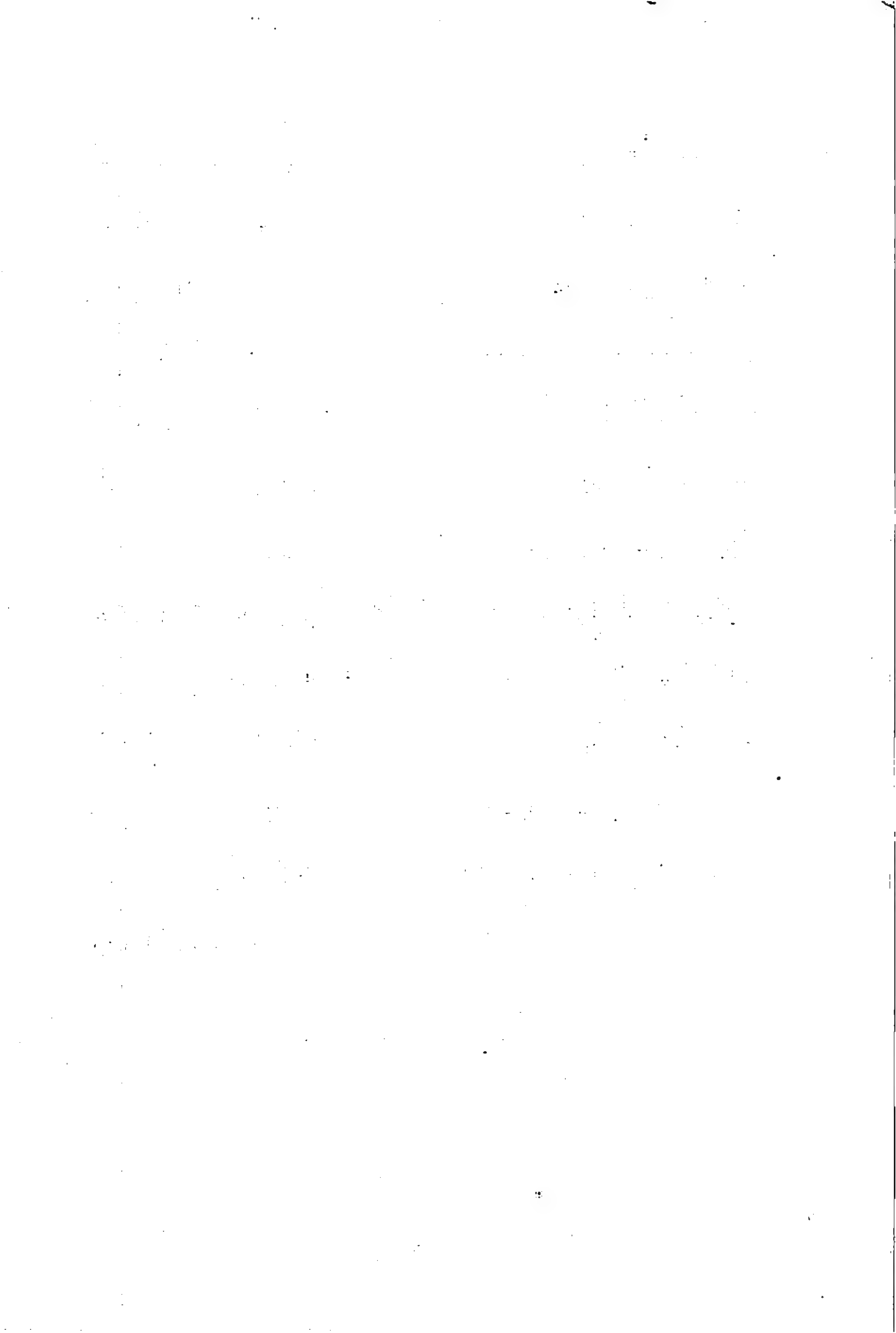
انتقل هذا الموقف من بريطانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية منذ أوائل القرن العشرين أو نحو ذلك، ووجد له أنصاراً وأحباراً وجنوداً في العقود الأخيرة منه، وأصبح له من الأتباع هناك عشراتُ الملايين، وصل إلى مراكز النفوذ في الإدارات الأمريكية المتعاقبة عددٌ كبير ممّن يؤمن بذلك، ويبذل كلَّ ما يستطيعُ لتمهيد السبيل لتحقيق ما جاء في ذلك الموروث واقعاً ومزاولة، إيماناً به أو استغلالاً له لتحقيق مآربَ ومطامعَ تَتَّخذُ من المؤمنين جنوداً ووقوداً.

جاءت أحداث (١١) سبتمبر **المحتملة في وقوعها أو المفتعلة في حقيقتها** لكي تهدمَ الجدار المانع أو العائق من الشروع الفعلي في استرجاع الماضي والإعداد لما جاء به من نبوءات.

ما في صفحات هذا الكتاب ـ إذن ـ ليس سوى شواهدَ قليلة من الوثائق المُثبتة لهذا التوجُّه

الخطير المثير، وما تقومُ به الإدارة الأمريكية الحاضرة مما أسمته الحرب على الإرهاب، لا يجوز أن يُفصل عن جذوره الموغلة في القدم الواردة في أسفار العهد القديم إذ جعلت من أحداث (١١) سبتمبر ذريعةً لمؤاخذة المُحْسِن بذنب المُسِيء، ومعاقبة البريء بجريرةِ المذنب، وجعلت مصادرةَ حرّية الفرد وحرمانه من أبسط حقوقه تشريعاً تُسنُّ له قوانين، بادرةً لم يعرفْها البشرُ في تاريخهم الطويل، وعلى ذلك فإذا كان الكتاب الأول دعوةً إلى محاسبة النفس على ما تقع فيه من خطأ؛ فإنّ هذا الكتاب كشفٌ لما وقع ويقعُ فيه الآخر أو فئات منه من أخطاء وعدوان....





كلمة حول المنهج

عمد المؤلِّفُ في إعداد هذا البحث إلى الالتزام بمنهج يتمثَّل في الاعتبارات التالية:

الأول: ألّا يستشهد فيما يكتبه عن التطرُّف في الغرب ـ ومنه الولايات المتحدة ـ إلا بما **كتبه الغربيون أنفسُهم**، وأكثرُهم من الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك حرصاً على الموضوعية، والوثوق من صحة الوقائع والأحداث.

الثاني: أن لا يجيءَ بشيءٍ عن السماحة لدى المسلمين إلا ما هو من مصدري التشريع الإسلامي الرئيسة (**القرآن والسنّة**)، أو من شواهد موثقة من تاريخ المسلمين، وقد جاء أكثرُها شهادةً للمسلمين من غيرهم مراعاةً للاعتبار السابق.

الثالث: مع رغبة المؤلف خلوّ البحث من غير الحرف العربي إلا أنه اضطر لذلك في الحالات التي يكون فيها اسمُ العَلَمِ أو المنظمةِ أو الموضوعِ غيرَ معروفٍ أو غيرَ متداول لدى القرّاء العرب، وذلك لإمكان الرجوع إليه في مصادره، وجاءت أسماءُ الأعلام أو المنظمات أو المواضع المعروفة المتداولة مكتوبة بالحرف العربي.



توطئة

التطرُّفُ أكثرُ الأحداث التي تُشغل العالم في وقتنا الحاضر، حديثاً عنه، ومقاومةً له، وتتبُّعاً لآثاره، وبحثاً عن دوافعه، ولعلَّ تاريخَ البشر لم يعرفْ حشداً لجهودٍ وإعداداً لوسائلَ، ودعوةً إلى ملاحقةٍ: كما حُشدَ من جهد، وأعدَّ من وسائل، ودُعي إلى ملاحقة لمحاربةِ التطرُّفِ الذي أثمر إرهاباً أو رَدَّ فعلٍ لإرهاب.

لقد بُذلت أموالٌ وأهدرت دماءٌ بسبب الإرهاب ـ الذي من أقوى أسبابه التطرُّف ـ أو في مقاومته.

ومع أنَّ التطرُّفَ ظاهرةٌ شاذةٌ في الشعوب والمجتمعات وبين أتباع المذاهب والأديان، وأنَّ

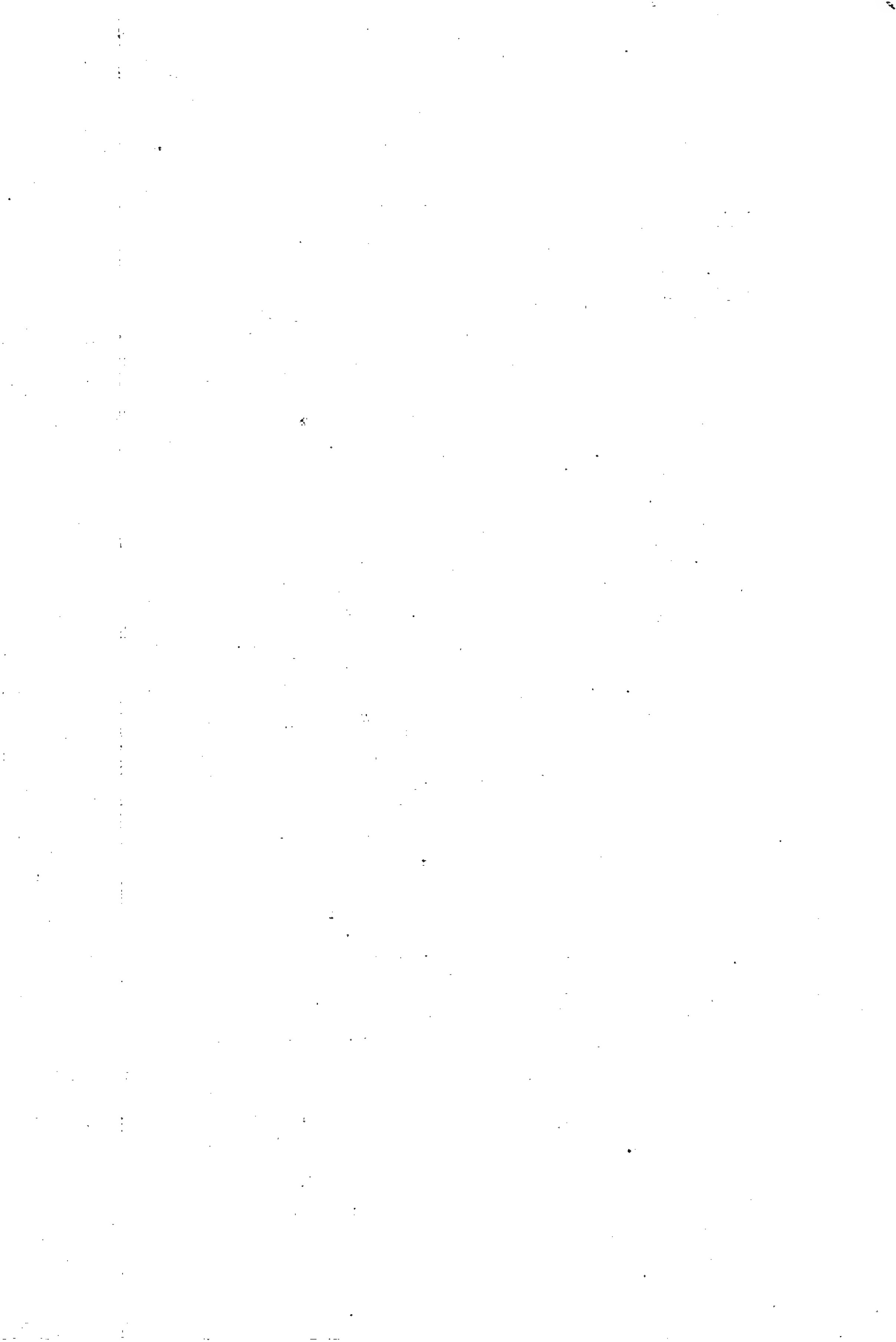
المتطرفين في كل شعب أو مجتمع ومن أتباع كل مذهب ودين قليلو العدد، صغيرو النسبة، إذا ما قورنوا بالغالبية العظمى من عدد أفراد الشعوب والمجتمعات إلا أنّ أثرهم وخطرهم لا يجوزُ أن يُنْظَرَ إليه من خلال ذلك، لأنّ حجمَ الأثر والخطرِ يتجاوزُ حجمَ الظاهرة من حيث عدد أفرادها.

لذلك فإن ما يُبذَلُ من جهدٍ لدراسة هذه الظاهرة، ومعرفة جذور نشأتها، وعوامل بقائها ونمائها، وأسباب انتشارها، والمعالجة المؤدية إلى انحسارها: **من أنبل وأفضل** ما يُقدَّمُ لحمايةِ الحياة والإنسان.

على أنَّ هذه المعالجة لا تعني بأي مدلول من المعنى، ولا يجوزُ بأي حال من الأحوال **أن تتجاوز معالجةُ هذا الشططِ العدلَ إلى الظلمِ، ولا أن يؤخذَ البريءُ بذنب المذنب، ولا أن يُسحبَ خطرُ التطرف وأثرُه** ـ وقد وقع من فرد أو أفراد ـ

على من سواهم من بني جنسهم، أو المشاركين لهم في معتقدٍ أو ثقافةٍ، فتصبحَ المعالجةُ عند ذلك خطأً فادحاً يُحوِّل التطرُّفَ من مرضِ فردٍ أو أفرادٍ إلى مرض حكومات أو شعوب.





الباب الأول

التطرُّف

١ ـ مدلول التطرُّف.

٢ ـ تعريف التطرُّف.

٣ ـ منشأ التطرُّف.

٤ ـ الصلة بين التطرُّف والكراهية.

٥ ـ صفات المتطرّف.

٦ ـ التطرُّف خبز عالمي.

٧ ـ التطرُّف في الولايات المتحدة الأمريكية.

٨ ـ التطرُّف في إسرائيل.

الباب الأول

التطرُّف

١ ـ مدلول التطرُّف:

التطرُّفُ أكثرُ الكلماتِ شيوعاً وتداولاً في وقتنا الحاضر، بحيثُ ترى فئةٌ من الناسِ في أيِّ تعريف له أو تحديدٍ، جهداً يسقطُ من اعتباره وضوح مدلوله لدى المتلقي، فيكون ذلك الجهدُ ممّا يدخل في القاعدة القائلة: «إنّ توضيحَ الواضحِ خفاءٌ» على أنَّ الحقيقة هي أنّه مع شيوع هذه الكلمة وكثرةِ تداولها في وسائل النشر فلا تزالُ هناك حاجةٌ لتعريف ما نعنيه بهذه الكلمة في هذا البحث لسببين:

الأول: أنّه لا يوجدُ تعريفٌ كافٍ لكلمة التطرُّف في المعاجم العربية، وما ورد فيها ـ وهو

نزرٌ قليل - لا يُعطي صورةً واضحةً عن مدلول التطرُّف بالأبعاد والإيحاءات التي تحملها هذه الكلمةُ في الوقت الحاضر، فالكلمةُ ليس لها وجودٌ في بعض المعاجم العربية، فلم يرد لها ذكر في **(القاموس المحيط)** أو **(الصحاح)**، وما جاء في **(لسان العرب)** لم يزد عن القول: «رجل طرِفٌ ومتطرِّفٌ ومستطرِفٌ: لا يثبتُ على أمر». وفي **(المعجم الوسيط)**: «تطرّف في كذا: تجاوزَ حدَّ الاعتدال ولم يتوسطْ».

وذكر (Albert Breton) وآخرون: أنّ القواميس الفرنسية والألمانية والإيطالية تعرِّفُ **التطرُّف** بأنه **الإفراطُ**، على حين تعرّفه القواميس الإنكليزية بأنّه عنفُ الوسائلِ المتبنّاة(٣).

الثاني: أنَّ التعريفَ حاجةٌ يوجِبُها أنْ يكونَ هناك مرجِعٌ محدَّدُ الدلالةِ لموضوع هذا البحث.

٢ ـ تعريف التطرُّف:

ما نعنيه في هذا البحث بالتطرُّف هو: «**الشططُ** في فهمِ مذهبٍ أو مُعْتَقَدٍ أو فلسفةٍ أو فكرٍ، **والغلوُّ** في التعصُّبِ لذلك الفهمِ، **وتحويلُه** إلى حاكمٍ لسلوكِ الفرد أو الجماعة التي تتصف به، **والاندفاع** إلى محاولة فرض هذا الفهم والتوجُّه على الآخر بكلِّ الوسائل ومنها **العنف والإكراه**».

٣ ـ منشأ التطرُّف:

عدمُ ورودِ تعريفٍ للتطرُّفِ في المعاجم، أو قصورُ هذا التعريف، يماثلُه أو يقارِبُه ندرةُ التأليف في هذا المجال، ممّا يضطر الباحثُ بسبب ذلك إلى تسقُّطِ مفردات هذا الموضوع من مظانٍّ كثيرةٍ من تاريخِ وثقافةِ أية أمةٍ يكونُ التطرُّفُ فيها موضعَ البحث.

كلمة **التطرُّف** في وقتنا الحاضر تحمِلُ كثيراً

من الظلال والإيحاءات التي لم يكنْ لها وجودٌ في تاريخ الكلمة اللغوي ـ وهو شحيح ـ، وتُطلَقُ هذه الكلمة في وقتنا الحاضر للدلالة على عدّةِ حالاتٍ من التطرُّف، منها السياسيُّ والدينيُّ والمذهبيُّ والعرقيُّ، وغير ذلك من دوافع التطرُّف، **وهو في منشئه استعدادٌ ذاتيٌّ**، بمعنى أنَّه خَصْلةٌ تنشأ مع الذات، وليست شيئاً يسقُطُ عليها من الخارجِ، فليس من الصوابِ القولُ أو الاعتقادُ أنّ التطرُّفَ خصيصةٌ لشعبٍ بعينه، أو مفردةٌ من مفرداتِ معتقدٍ دونَ سواه، ومن يحمِلُ هذا الاعتقادَ أو يقولُ به، فإنّه لا يخلو من أحدِ أمرين أو كليهما.

أولهما: نقصٌ في استقراءِ تاريخٍ، **ونقصُ** معرفةٍ بوقائعِ الشعوبِ والمجتمعات.

وثانيهما: مطمَعٌ أو هوًى يوظِّفُ هذا الوهمَ، وينشره لتحقيق هذا الهوى أو ذلك المطمع.

وهـذا الأخـيـرُ هـو أكـثـرُ الأمـريـن خـطـراً، وأشدُّها استعصاءً على المعالجة والإقناع، لأنّه لا يصدر عن جهل، بل يصدرُ عن رغبةٍ في تحقيق ذلك المطمع أو الهوى، فيكونُ من وسائله السلوكُ إلى تجهيل الآخرين.

وأوراق التاريخ ووقائعه تُظهِرُ بجلاءٍ أنّه (أي التطرُّف) بذرةٌ مستجنّةٌ في الذات، مصاحبة لتكوينها، والعوامل الخارجية مهما كانت ضاجّة ومحتشدة لا تخلقُ بذرةَ التطرُّف في ذاتٍ لم تكن موجودةً فيها، وإذا لم يكن من طبيعة متلقي هذه العوامل الاستعداد للتطرُّف، على أنّ العواملَ الخارجية مثل التربية والتعليم والبيئة الدينية والاجتماعية ذاتُ أثر كبير على ذلك الاستعداد من ناحية تحفيزه، وتحويله من وجود بالقوة إلى وجود بالفعل، أو إضعافه وتواريه، فهي عواملُ تأثيرٍ في الدرجةِ لا في الوجود، ولا يحتاجُ الباحث إلى

كثير من التأمل والبحث لاستجلاء هذه الحقيقة، فالمجموعةُ من الناس أو الإخوة الذين يولدون لمورِّثٍ واحد، وتحيطُ بهم نفسُ النشأة والتربية والتعليم والمخالطة والظروف الأخرى، لا يكونون - بالضرورة - متحدين في ميولهم وسلوكهم وتوجهاتهم، ومن ثَمّ التزامهم بالتطرُّف أو الاعتدال.

٤ - الصلة بين التطرُّف والكراهية:

الكراهيةُ ترتبط بالتطرُّفِ ارتباطاً وثيقاً، يصل أحياناً إلى الملازمة والاقتران، وقلّ أن يُخالِطَ متطرّفاً شعورُ محبةٍ لمن يخالِفُ ما يذهبُ إليه من مذهب أو اعتقادٍ، على أنّ العلاقة بينهما - التطرُّف والكراهية - ليست علاقةً جدليةً تسلكُ هذين الأمرين في دائرةٍ مغلقةٍ يتعذّرُ معها معرفةُ أيِّ الأمرين يكون مقدمةً أو يكون نتيجة، ذلك أنَّ الكراهيةَ قد تطرأُ على الذاتِ، أي تكون ضيفاً

حالّاً عليها من الخارج، وليست - في أغلب حالاتها - صفةً متأصلةً في الذات.

وعندما كتب **أرسطو** عن النفس في دوافعها وميولها لم يزد على الإشارة العابرة إلى الكراهية، جاعلاً إياها مفردةً من مفردات العاطفة(٤).

وفي بداية علم النفس التجريبي الذي بدأه **وِبِر** (Weber) في القرن الثامن عشر محاولاً أن يسلك في بحثه مسلك العلوم الفيزيائية لم يستطع أن يُلقيَ على هذا الشأن ما يُجلّيه من وضوح.

وقد أسفرت الاختباراتُ التي قام بها **ليبت** (Lippitt) على ثلاث مجموعات من الصغار عن تأثير أسلوب التربية والمعاملة على سلوك كل مجموعة أنّ أكثرهم ميلاً إلى الكراهية والعنف تلك المجموعة التي تعرّضت لتربيةٍ قسريةٍ تعرّضت فيها لإكراهٍ وسوءِ معاملةٍ(٥).

فالكراهيةُ إذن نبتةٌ يمكِنُ أن تُغرس في الذات، وهي الوقود الذي يستغلّه الطامعون والمغامرون للوصول إلى غايتهم.

وقد نقل **غوبلز** (Gobles) وزير الدعاية في العهد النازي عن **هتلر** قولَه: «لقد أعطى الله كفاحنا أشملَ بركاته، وأكثر هداياه روعةً... إنّها بغضُ أعدائنا، أولئك الذين نكرههم من كلِّ قلوبنا»(٦).

فالكراهيةُ هنا جاءت نتيجةً للمعاداة، والتطرُّفُ من أسبابِ الكراهية والعواملِ الجالبة لها، وهذا أمرٌ مفهوم ومتوقّع، طالما أنَّ المتطرّفَ يُلْبِسُ عقيدتَه أو مذهبَه أو موقفَه كلَّ صفات الحقِّ والكمال، ومن ثَمّ يخلَعُ هذه الصفات عن مَنْ يخالفه في موقفه أو معتقده، ويراه ضالاً أو شريراً، داعياً إلى باطلٍ أو مقاوماً للحقِّ والخير والفضيلة.

٥ ـ صفات المتطرِّف:

من صفات المتطرِّفُ الظاهرةِ: سرعةُ الانفعالِ، والتوترُ، وفورةُ العاطفةِ، وهو غالباً سريعُ التصديقِ لما يسمَعُ، وسهلُ الاقتناعِ والاتباع لما يُوجَّه إليه، وعلى الأخصّ إذا سمعَ القولَ أو جاءَ التوجيهُ ممّن يطمئنُّ إلى صدقه، أو يُعجَبُ بمسلكه، وبقدر قربه من التصديق والوثوق يكون بعدُه عن القدرةِ على محاكمةِ الأفكارِ والمواقفِ، وتفحُّص المذاهب والمعتقدات، وليس من طبيعةِ المتطرِّفِ التحليلُ والتعليلُ والموازنةُ.

وهو في انحيازِه إلى فكرٍ أو مذهبٍ أو معتقدٍ يُفرِطُ في موالاته لما ينحازُ إليه ومَنْ ينحازُ إليه إفراطاً يمنعُه مِنْ وضعِه موضعَ التحليل أو المُسَاءلة، إذ إنّه يعتقد اعتقاداً جازماً أنّ فهمَه وموقفَه هو الصواب الذي لا خطأ فيه، والحقُّ الذي لا باطل معه، ولا يرى في جانب المُخالِفِ

له حقّاً يجبُ أن يسعى إليه، أو صواباً ينتفع به.

وإذا كان التطرُّفُ ذا منشأ ديني أو مذهبي أضفى على ذلك المنشأ هالةً من القداسة، تجعلُه يرى كلَّ نقدٍ له عملاً من أعمال الشيطان أو من إملاءات الهوى، فيتخلّى العقلُ ـ عند ذلك ـ عن وظيفته كابحاً للهوى والانفعالِ، مسيطراً عليهما، فيكونُ محكوماً بالهوى والانفعال، مسيطراً عليه بهما، بل يكونُ بما أَلِفَ من نوازع الهوى، وبما خضعَ له مِنْ عواصفِ الانفعال، طيِّعاً في استجابته لوقف قدراته على تسويغ ما ينبثق من هذه العواطف والانفعالات، مهما كان خطرُها أو ضررُها.

وإذا حدث أَنْ أُلْجِئَ المتطرف إلى محاكمةٍ ذهنيةٍ فإنّه غالباً ما يُروِّضُ عقله ليكونَ **شاهدَ زورٍ** لما ينحاز إليه، ولا يجدُ في ذلك أدنى شعور بالتعسُّفِ أو الخروج على مقتضياتِ العقل

واشتراطه، وعلى ذلك لا تكونُ لدى المتطرِّفِ كوابحُ ترُدُّه عما ينوي الإقدامَ عليه.

على أنَّ ذلك لا يعني أنَّ المتطرف ـ بالضرورةِ ـ شريرٌ بطبعِه، فهو يتوجَّه في كثيرٍ من حالاته بدوافع يعتقد قدسيتَها أو نبلَها.

وظهورُ التطرُّفِ أو انتشارُه لا يتوقَّفُ على عاملٍ واحدٍ أو سببٍ مفردٍ ـ كما مرَّ ـ فهو قد يظهر أو ينتشر أو ينتقل من حالةٍ إلى أخرى بسبب ديني أو عرقي أو سياسي أو اجتماعي أو غير ذلك من المسببات، إذ إنّه مخلوقٌ لا يتغذّى بطعامٍ واحد، بل يستمدُّ بقاءَه ونماءَه من كثيرٍ من الأطعمة، وقد يستمدُّ غذاءه من **السنابل الميتة**، ويستنجِدُ بالغابر من الأفكار والمعتقدات.

٦ ـ التطرُّف خبز عالمي:

لا ينفرد بالتطرُّف ـ كما سبق ذكره ـ شعبٌ

دون سواه، ولا طائفةٌ من البشر دون غيرها، ولا أتباعُ دينٍ بعينه أو معتنقو مذهب سياسي أو اجتماعي واحد، ولم تعرفْ دفاترُ التاريخ ثقافةً واحدةً خلت من أفراد زرعوا فيها ما يوقِظُ الصراع أو يشعله بسبب تطرفهم.

وُجد التطرف في كلّ الشعوب، ومورس من قِبَل أفراد وجماعات من أتباع كل الديانات والمذاهب على اختلاف أطيافها، ظهر في مجموعاتٍ وأفراد، ومورس على مجموعات وأفراد، ولم تكن الحروبُ والصراعات التي عرفها البشر لتقعَ أو تقع بنفس الحدّة والاتساع لو لم يكن في مكان القيادة من المتنازعين أفرادٌ تختزِنُ طباعهم موروثاً متوحِّشاً من الماضي البعيد.

فالبوذية التي عُرفت منذ (٢٥٠٠) عام أو نحوها بدعوتها إلى التسامح لم تمنع أتباعها من توظيف معتقدها في حشد الجيوش في القديم

والحديث لاستبقاء مصالحها ومحاربة جيرانها[٧]، ولم يتورَّعِ اليابانيون عن توظيف المعتقد نفسه لدفع مجتمعهم إلى الحروب التي خاضوها في أوائل القرن المنصرم.

ومن المرجّح أنه لم تكن لتشتعل الحروبُ الصليبية أو لم تكن كما كانت عليه من العنف والاتساع لولا تطرُّف **بطرس الناسك**، وتطرُّف بعض سلاطين السلاجقة من المسلمين[٨].

وليس من المظنون أن تشتعل الحربان العالميتان الأولى والثانية بما أدّت إليه من كوارث كونية لولا التطرُّف الشديد الذي تنطوي عليه الأفكار النازية والفاشية.

وليس الخوارجُ في تاريخ المسلمين ولا أتباع بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة إلا بعض التعبير والترجمة لذلك التطرُّفِ المدمر.

والفريسيون الذين يُعرفون في العبرية باسم فيروشيم وتعني الذين انعزلوا عن سواهم، لأنّهم يرون أنفسهم صفوةَ الله المختارة هم الآباء الروحيون للصهيونية المعاصرة، بما اقترفته وتقترِفُه من مظالم(٩)، ولعلّ ذلك ما دعا الحاخام **جرمي ميلغرُم** (Germy Milgrom) مؤسس رابطة المتدينين من أجل السلام إلى القول: «**منْ أعظم أحزان حياتي الروحية أَنَّ الفرد يمكِنُ أن يجدَ بسهولة قضية مستمدة من المصادر اليهودية تؤيِّدُ العنفَ...**»(١٠).

ومع أنَّ كلًّا من التطرُّف والتعصُّب والغلوّ يحمل مدلولات واحدة أو متقاربة عند كثير من الناس، فإنّ الأقربَ إلى الصواب هو أنَّ التعصبَ والغلوَّ فرعانِ لشجرةِ التطرُّفِ، إذ من المتعذر أن يوجدَ متطرِّفٌ غير غالٍ أو متعصّب لما يعتنقُ من معتقدٍ ديني أو سياسي أو اجتماعي أو عرقي، أي لن يكونَ ذا اعتدال، كما لا يوجد ذو غلو أو

تعصب إلا بسبب ما هو عليه من تطرّفٍ في رأيه أو موقفه، ويمكن أن يجمع هذه الصفات الثلاث تعبيرُ **عدم الاعتدال**، ويشملها جامعٌ واحد هو أنَّ أيّاً منها ثمرة من ثمار معتقد (Dogma).

فالمعتقدُ لدى فئةٍ من الناس يُدخِلُ صاحبَه في سباتٍ قلَّ أن يفيق منه، فهو عاملٌ أول آثارِه أن يُكفَّ العقلَ عن عملِه، فلا يعملُ، بل إنّه يجعل العقل خادماً لما تمليه مشاعر ذلك الفرد وانفعالاته وعاطفته، فهو يجهد في حشد كلِّ الحسنات لذلك الرأي أو المذهب أو المعتقد إن وُجِدت لأي واحد منهم حسناتٌ، أو قد يختلقها أو يتخيَّلها إن لم توجد.

أقوى أثرِ بعضِ المعتقدات المذهبية وأخطرُها ما يجعلُ صاحبَه يُقْدِمُ على أكثرِ الأشياءِ خطراً وترويعاً للفرد أو الجماعة في بسالةٍ، وقد يقترِفُ أكثرَ الأفعالِ ضرراً، وهو على بساطٍ وثيرٍ من

راحة الضمير، لأنّه يعتقد جازماً أنّه يقومُ بعملٍ يُقرِّبه من اللهِ، أو ممّا يقتضيه الواجب.

ولم يزدحم التاريخُ في مسارِه الطويل بشواهدَ دالةٍ على ظاهرة معينة كما ازدحم بالشواهد الدالة على مثل هذا السلوك في الماضي والحاضر، فلا تزالُ هذه الظاهرةُ هي الوقودَ الذي يشعِلُ وجدان وانفعالات بعض الأفراد والجماعات.

فأفكارُ **جماعةِ إعادةِ البناءِ** (Reconstruction) كانت الينبوعَ الذي استمد منه **مايك بري** (Mike Bray) دافعَه لإحراقِ عيادةِ الإجهاضِ في مدينة **دلوير**(١١).

وباروخ غولدشتاين (Baruch Goldstein) الذي وجدَ في قتل عشرات المسلمين بينما كانوا يؤدون صلاة الفجر في الحرم الإبراهيمي في الخليل في شهر رمضان عام (١٩٩٤م) شيئاً من النشوة الروحية نشأ في مدينة **بروكلين**، وكان طبيباً تلقّى تعليمه في كلية **ألبرت آينشتاين**(١٢).

والقس **بنهو إيفر** (Bonho Effer) ترك منصبَه وعمله في نيويورك، وعاد إلى ألمانية ليشتركَ في محاولةٍ لم تنجح لاغتيال **هتلر**(١٣).

والذي قام باغتيال **أنديرا غاندي** - أحدُ القائمين على حمايتها - من أتباع طائفة السيخ.

وياغال أمير (Yagal Amer) الذي اغتال **إسحاق رابين** من جماعة تعمل على إعادة بناء الهيكل في القدس، ومن أتباع الحاخام **مئير كاهانا** (Meir Kahn) مؤسس الجناح اليميني لحزب **كاخ** (Kaho)(١٤).

وتوم هارتلي (Tom Hartley) رئيس حزب سياسي كاثوليكي، وغريمه البروتستانتي **إيان بزلي** (Ian Pasley) وهو من اتخذ العاملَ المذهبيَّ وقوداً للصراع بين الفريقين المتصارعين في إيرلندة الشمالية، وهو عضو في البرلمان البريطاني، وممثِّلٌ لبلادِه في البرلمان الأوروبي(١٥).

والذين قاموا بإطلاق الغاز القاتل في قطار الأنفاق بمدينة طوكيو شبابٌ لم تمنعْهم ثقافتُهم العلمية الجامعية ممّا أقدموا عليه، لأنهم واقعون تحت تأثير العقيدة الهندوسية البوذية(١٦).

وخالد الإسلامبولي الذي قام باغتيال الرئيس **أنور السادات** كان من الضباط في الجيش المصري. وما يحدُث في العراق منذ عامين أو أكثر نوعٌ من الإعصار المُدمِّر يوزع ضرباته بالتساوي بين المخالفين له في الدين والمتفقين معه.

وإذا اختلفت أديان وثقافات وأعراق من اقترفوا هذه الأحداث فقد تباينت أعراقٌ وديانات وثقافاتٌ من وقعت هذه الأحداث عليهم.

إنّ قائمة طويلة من البشر فقدوا حياتهم أو أمنهم بسبب التطرُّفِ أو الهوى من كلِّ الأعراق والثقافات، وليس **سقراط**، **وابن المقفع**، **والجعد بن**

درهم، والحلّاج، ولسان الدين ابن الخطيب، وموسى بن ميمون، وباندت سبينوزا، وموسى مندلسون، وغاليلي، وجان جاك روسو، وجون لوك، وبرونو، وجان دارك، والمهاتما غاندي، إلا أمثلة قليلة لضحايا الأهواء السياسية أو التطرُّف الأعمى إذا كان من الممكن أن يكون في التطرف بصيراً.

٧ ـ التطرُّف في الولايات المتحدة الأمريكية:

إفراد شعب أو دولة ـ في هذا الكتاب ـ بحديثٍ عن التطرُّفِ قد يبدو خروجاً عن الموضوعية، يتعارض مع ما انتهى إليه البحث من أنّه أمرٌ لا ينفرِدُ به شخصٌ بعينه، ولا يختصُّ به مجتمعٌ دون سواه، وعلى ذلك يكون إفرادُ شعبٍ أو دولةٍ بوَقْفَةٍ أو حديثٍ ممّا يدخل في باب: **الترجيح بلا مُرجِّح**؛ وهذا اعتراضٌ لا غرابةَ في أن يتراءى لأحدٍ من النظرة الأولى إلى هذا الأمر، والحقُّ أنَّ هذا الاعتراض لم يكن بعيداً عن ذهن

المؤلف، إلا أنَّ إفراد الولايات المتحدة الأمريكية أو سواها بحديثٍ، اقتضته أسبابٌ خاصة، قد تنفرد بها دولةٌ دونَ أخرى، أو شعبٌ دون سواه، لذلك جاء إفراد الولايات المتحدة الأمريكية بهذه الوقفة.

إنّها لم تُخَصَّ بهذا الحديث لأنَّ شعبَها أكثرُ الشعوبِ تطرُّفاً أو قبولاً للإغواء والإغراء، ولكنَّ إفرادَها بهذه الوقفة جاء لأمرين:

الأول: أنّ الولايات المتحدة الأمريكية هي الأُولى من بين الدول قوةً اقتصاديةً وعسكريةً وسياسيةً، ومن ثَمّ فهي أقدرُها أثراً في مَنْ حولها وما حولها، وهذا الأثرُ لا ينحصِرُ داخل حدودها، بل يمتدّ إلى خارجِ هذه الحدود، ويزدادُ هذا الأثرُ إذا وصلَ إلى موضع السيطرة والنفوذِ فيها مَنْ يحمِلُ بذرةَ التطرُّفِ، أو يكونُ ذا ميلٍ إليه، بسبب معتقد ديني، أو هوًى سياسي، مهما كان حظُّ هٰذين الدافعين من إصابة أو خطأ.

الثاني: أنَّ الإدارة الأمريكية الحاضرة تقومُ بحملةٍ واسعةٍ على ما دعته إرهاباً، ولم تسلم - وهي تقاوِمُ إرهابَ الأفراد والجماعاتِ - مِنْ أَنْ تُمارِسَ إرهابَ الدول والحكومات، وهذا الأمرُ ليس جديداً يكشِفُ عنه هذا البحث ولا دعوى يدّعيها، ولكنّه ظاهرةٌ سالت بها الأقلام، وفاضت بها مصادرُ الإعلام في داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها وفي خارجها، هذان العاملان سببان كافيان لإفرادِها بهذه الوقفة.

ممّا هو جديرٌ بالتأمل والملاحظة أنّه مع ما جاءت به الكشوف العلمية التي تمَّتْ على يد كل من **كوبر نيكوس**، **وكبلر**، **ونيوتن**، **وغاليلي**، ومن تلاهم، وما أثاره فلاسفةٌ ومفكرون مُنظِّرون من أمثال: **ديكارت**، **وسبينوزا**، **وفولتير**، وما أحدثه ذلك من هزّةٍ عنيفةٍ في أفكار الناس، وتأثيرها على ما تصوّروه وألفوه عن الكون والحياة، فقد عادت

موجةٌ من الأصولية الدينية التي مِنْ أول شروطها إسقاطُ العقل أو إلجامُه عن الاعتراض والاحتجاج، غمرت أوروبة ـ وبريطانية بوجه أخص[١٧] ـ أسست لأصولية صهيونية مسيحية منذ القرن السابع عشر، ويظهر أنّ بداية ذلك جاء في كتاب **إدموند بني** (Edmund Bunny) الذي صدر في أواخر القرن السادس عشر بعنوان: (تتويج داود) (The Coronation of David) الذي جاء فيه ما يحتمل أن يكون أولَ دعوةٍ لتجميع اليهود في فلسطين.

وفي القرن السابع عشر قام **هنري فنش** (Henry Finche) وهو أحد المستشارين ذوي النفوذ في بلاط **جيمس الأول** بنشر مشروعه الذي عنوانه: (The World Great Restauration or the Colling of the Jews) دعا فيه إلى احتلال فلسطين، وحقِّ اليهود في التوطُّنِ بها، وفي كتابه (**مجد وخلاص**

اليهود (The Glory & Salvation of Juhodah) عبَّر **هنبري جيسي** (Henry Gessey)، وهو أحدُ الإنجيليين ذوي النفوذ في بلاط **أولفر كروموبل** عن نشوته الروحية الذي يبعثُها فيه حلمُ أورشليم السماوية، حيث يُسْتَبْدَلُ شعبٌ بشعبٍ وثقافةٌ بأخرى، وفي كتابه هذا دعا بإلحاح شعب الله المختار (الإنكليز) إلى أن يُسارِعَ إلى المساعدة في **تدبير الرب** بتجميع اليهود في فلسطين، وقيام دولة لهم، لأنّ ذلك شرطٌ للعودة الثانية للمسيح.

وقد تُرجم هذا الكتاب إلى كلِّ لغات العالم البروتستنتي، وصار أكثرَ الكتبِ تداولاً لدى اليهود(١٨).

وفي أوائل القرن الماضي بُذلت جهودٌ مكثفة بين الأمريكيين والأوروبيين لتكوينِ رابطةٍ حَوْلَ ما عُرِفَ بـ **الحق الفطري أو الأساسي** (Radical Right) وبدأت هذه الجهودُ تقوى وتتّسع في الستينيات من

القرن الماضي؛ حاملةً ما تقدّم من أفكار ومعتقدات، وقد تعددتْ هذه المجموعات الأصولية المتشددة من الإنجيليين (Evangelical).

هذه الأصوليةُ المسيحيةُ تقوم على دعائمَ أربع، تؤمنُ بها هذه المجموعات، وتجهدُ في نشرها، وهذه الدعائم الأربع هي:

الأولى: أنّ اليهودَ شعبُ الله المختار.

الثانية: أنّ الله أعطى لليهود الأرض المقدسة.

الثالثة: أنّ قيامَ دولة إسرائيل شرطٌ لا بد منه لتحقق العودة الثانية للمسيح.

الرابعة: أنّ قيام دولة إسرائيل شرطٌ لتجمع قوى الشر في سهل (**مجدّو**)، حيث تقوم معركة كونية تُدعى **أرمجدّون** (Armageddon) يُقتل فيها ويُدمر الأشرار، وتنتهي بعودة المسيح، وإنزال حكمه على الأحياء والأموات.

هذه العقيدة (الخرافة) التي تجعلُ الله ـ جلَّ شأنه ـ كائناً عنصرياً محابياً فئةً من خلقه، محارباً بهم ومعهم، وحاملاً كلَّ الغضب والمعاداة لبقيّة من خَلَقَ، هي التي يتحمس لها، ويبشِّرُ بها، ويدعو إليها **اليمينيون الجدد**، ويتولّى نشرها وتأصيلها في الوقت الحاضر عدة مبشرين من أمثال: **جيري فولويل** (Gerey Falwell)، **وبات روبرتسون** (Pat Robertson)، **وفرانكلين غراهم** (Franklin Grahamm)، **وسواغارت** (Swagart).

تعطي الوثيقةُ التي قدمتها الكاتبة الأمريكية المعروفة **غريس هالسل** (Grace Halsell) في كتابها القيّم **(النبوءة والسياسة)** (Prophecy & Politics) وصفاً دقيقاً لهذا المعتقد، ومن المفيدِ أن ننقلَ هذا الوصفَ كما جاءَ في كتابها حيثُ تقول: «نشأتُ في مدينةٍ صغيرةٍ على سهولٍ مرتفعةٍ جافّةٍ في غرب **تكساس**، وكنتُ أُحْمَلُ على ذراعي أمي أو أبي إلى

الكنيسة مرتين كل يومِ أحدٍ، وبعدَ ذلك كنتُ أحضرُ لقاءات صلاة الأربعاء، متخذةً الإملاءات والتعبيرات الإنجيلية التي يتلوها القسّ جُزءً من تفكيري، وقد عُلِّمتُ أنْ أتقبّلَ الأصوليةَ المسيحيةَ بنفس التقبُّل واليسر الذي أستنشق بهما هواء **تكساس** النقي، لقد عُلِّمتُ أنَّ كلمةَ اللهِ تأتي إلينا من الكتاب المقدس خاليةً من أي أخطاء أو تحريف، بل خاليةً من أيِّ خطأ ترجمة أو طباعةِ حرفٍ.

وعندما بلغتُ التاسعةَ ذهبتُ لزيارة أجدادي من ناحية الأم في مدينة **أرلنكتون**، وكان هناك إنجيلي يأتي للمدينة للتبشير بالأصولية المسيحية يُدعى **تيرنر** (Turner) كنتُ أحضرُ موعظته كلَّ مساءٍ، وكان يخبرنا أنَّ البشر مُقَسَّمون إلى: **أشرار**، حُكم عليهم بالخلود في النار، و**أخيار** ناجون من الجحيم، وهؤلاء الأخيار هم أتباع طائفة المسيحيين، الذين ولدوا مرّةً أخرى (Born Again Christian)، ولأننا

لا نستمعُ في ذلك الوقت إلى مصدر آخر من المعرفة مثل: الراديو أو التلفاز، فقد كُنّا نصغي إليه في انبهار مسحورين بحديثه، ونجدُ ما يقول وسيلتنا للفهم والإدراك، وفي الليلةِ الأخيرةِ حضرَ الإنجيلي **تيرنر**، وفي يده نسخةٌ كبيرةٌ من الكتاب المقدس، ودعا أولئك الذين لم ينضموا إلى المسيحيين الذين وُلِدوا مرةً أخرى أن ينضموا إليها ليفوزوا بالنجاح، في هذه اللحظة شعرتُ أنَّ قوةً من خارج ذاتي تدفعني، فنهضتُ من مقعدي الخشبي، وتوجهتُ إليه فأحاطني بذراعه، وفي هذا الوقت قام جدي والأصدقاء والمجاورون بمعانقتي، وأحسستُ أنني أنتفض من داخلي، وتساقطت الدموعُ من عيني، وقد قام جدي بالكتابة لوالديَّ يبشّرهم بأنني قد نجوتُ، لأنني دخلتُ في ما يعتقده أتباع هذه الطائفة، **وأتباع هذا المعتقد في بلدي؛ يعتقدون أنّ تاريخ البشر سينتهي بمعركة تسمى (أرمجدون) يعودُ بعدها المسيح،**

ويصدِرُ حكمه الأخير على الأحياء والأموات»[١٩]...

وتَمْضِي المؤلفةُ قائلةً: «المسيحيون في بلدي يُؤْمِنون أنّ اليهودَ شعبُ اللهِ المختار، وأنّ الله وهبَهم الأرض المقدسة، ولأنّهم كذلك، فإنّ الله يبارِكُ مَنْ يباركهم، ويَلْعَنُ من يكرههم، تحت هذه التعاليم خالطتني الرغبة في الذهاب، والإقامة في الأرض المقدسة، ولكنني تركتُ أسرتي ومدينتي **لابوك** (Lubbock) وأنا في التاسعة عشرة من عمري، وصرتُ أعتمدُ على دخلي من الكتابة مراسلة فتنقلتُ عدَّةَ سنوات بين أوروبة، وكورية، واليابان، وجنوب أمريكة، ومن ثَمَّ ذهبتُ إلى فييتنام، وهناك دخلتُ مستشفيات وجدتُها مملوءة بنساءٍ وأطفال من دونِ أيدي أو أرجلٍ بفعل القنابل الأمريكية، التي سقطت عليهم من الطائرات الأمريكية في حرب فييتنام، وقد رأيتُ هؤلاء الضحايا قائلين: (النار لأمريكة)، لقد تساءلتُ في دهشةٍ لماذا قتلنا الفييتناميين؟!

بعدَ هذا التنقُّل الطويل عُدتُ إلى **واشنطن**، وعملتُ بالبيت الأبيض، واختارني الرئيس **جونسون** محررةً بالبيت الأبيض، وكان متحمّساً للحرب في فييتنام، ومواصلاً بعثَ الجنود الأمريكيين إلى هناك، وكنتُ أتساءَلُ:

لماذا يبعثهم لكي يَقْتلوا ويُقتلوا؟ أليس الفييتناميون بشراً مثلنا..؟!

كيف أستطيع أن أقول للرئيس **جونسون** والآخرين: إنّهم بشرٌ مثلي ومثلك..؟

هل كوني بيضاء نشأتُ في **تكساس** لم أرَ أحداً أسودَ جعلني أشعر بالعنصرية..؟! للإجابة على هذه الأسئلة تركتُ وظيفتي بالبيت الأبيض، وسَوّدتُ بشرتي، وعشتُ كما تعيشُ امرأةٌ سوداءُ، وسجّلتُ تجربتي ومشاعري في كتاب، ومِنْ ثَمَّ عرفتُ كيفَ تعيشُ امرأةٌ من الهنود الحمر عندما كنت في **نيو مكسيكو** (New Mexico).

في عام (١٩٧٩م) ذهبتُ إلى الشرق الأوسط، ولم تكن لدي معرفةٌ عنه سوى ما تلقيتُه منسوباً إلى الكتاب المقدس، وفي فلسطين قابلتُ لأول مرة فلسطينياً أخبرني أنّه أجبر بفوهة البندقية على أن يتخلّى عن أرضه التي استُصْلِحَتْ من قِبَل أجدادِ أجدادِه، وهناك أقمتُ في منزلِ أسرةٍ يهودية، هي السيدة **ليندا** والسيد **براون**، وهم مستوطنون، نزحوا من الولايات المتحدة الأمريكية، وقد قالوا لي: إنّهم أخذوا الأرض من أصحابها الفلسطينيين بالبندقية ومدفع الـ **أوزو** (Ozo) قائلين: لقد أعطى الله الأرض لنا نحنُ اليهود. وكومضةٍ جاء إلى ذهني في هذه اللحظة ما لُقنتُه في طفولتي من أنّ للهِ شعباً مختاراً، وأنّه أعطاهم أرضه المقدسة، ولكنّ الكلمات الآن ليست كلمات الإنجيلي **تيرنر** عندما لم تكن دولة إسرائيل موجودةً على الخريطة، ولكنّها كلماتُ **براون** القادم

من مدينة **بروكلين**، والأرضُ ليست الأرض المقدسة، ولكنها أرض ومكانُ طفولةٍ لفلسطينيين عاشوا فيها منذ أكثر من (٢٠٠٠) عام، في هذه اللحظة وجدتُ نفسي وجهاً لوجه أمام السؤال المهم الذي كان يُلحُّ عليَّ منذ طفولتي وهو:

هل حقيقة أنّ لله أناساً مفضلين على سواهم؟

والسؤال الآخر هو:

إلى أيٍّ مدى تمثِّلُ دولةُ إسرائيل الحديثة تلك الصورة عن الدولة الصهيونية التوراتية؟

لقد شعرتُ أنّ عليّ مراجعةَ معتقدي الديني، وأنْ أعرفَ ماذا يعتقد الآخرون، وفي سبيل ذلك قرأتُ كتابَ **(نهاية كوكب الأرض العظيم)** (The Late Great Planet Earth) لمؤلفه **هال لندسي** (Hal Lindsey)، وقد بيع من هذا الكتاب ما يربو على (١٨) مليون نسخة، قرأتُ هذا الكتاب كما

قرأتُ أربعةَ كتبٍ أُخرى للمؤلف نفسه يقول فيها: إنّ الله قضى أن نحارِبَ معركة **أرمجدون** نووية، وأنّ «خطة الله» تمرُّ خلال سبع مراحل، إحداها معركة **أرمجدون**؛ حيث يُطلَقُ فيها سلاحٌ نووي مُدمِّر وتسيل الدماء كالأنهار المندفعة، ومعظم الإنجيليين من أمثال: **فولويل**، **وسواكرت**، **وروبرت باترسون**، يؤمنون بما جاء في كتب **لندسي** من أنّ نهاية هذا الكوكب ستكونُ في عصرنا الحاضر، وأنَّ **الرب** يعرفُ ذلك وقد عرفه منذُ البدء ولكنّه جعله سراً عن بلايين البشر، الذين عاشوا قبلنا، وكشفه الآن الراهب **لندسي** وأقرانُه من هؤلاء الإنجيليين!![٢٠].

في الولايات المتحدة الأمريكية توجدُ عشرات القنوات الفضائية تنشر هذا المعتقد، ينتظِرُها ويستمعُ إليها عشراتُ الملايين من الأمريكيين ممن يؤمنون بما تنشره هذه القنوات، ويستمعون باهتمامٍ إلى ما تدعو له.

كان الجنرال **جيم وات** (Game Watt) وزيرُ الداخلية الأمريكي السابق معبراً عن هذا المعتقد عندما قال أمام لجنةٍ من أعضاء البرلمان تبحثُ شؤونَ الغابات والأنهار: «إنّه لا يشعرُ بالقلق لتدمير مصادر الأرض؛ لأنّه لا يعرفُ كم جيلٍ من الناس سيأتي قبل عودة المسيح».

بل إنّ **هذا المعتقد هو الدافعُ وراء موقف مجموعة «الحق الديني» (Religious Right) غير المبالي بعجز الميزانية الأمريكية الذي يزيدُ عن مئتي بليون دولار سنوياً لأنهم يؤمنون بقرب مجيء المسيح.**

وإنني أتساءل ـ ولا يزالُ الكلام للكاتبة **هالسل** ـ هل كان الجنرال **جون فيسي** (Gohn Vessey) رئيس هيئة الأركان المشتركة السابق في البنتاغون مؤمناً بهذه الأفكار عندما كان يقيم صلواته في البنتاغون؟ وهل كان يعتقد أن حرباً نووية مع الروس تُقرِّبُ عودة المسيح؟...»[٢١].

نقلنا هذا النص ـ على طوله ـ لأنه يرسم صورةً بارزةَ الملامح، واضحةَ القسماتِ لما يسكنُ عقولَ ووجدانَ ملايين من البشر، يعيشون في هذا القرن، فلا يصدمُ عقولهم ولا مشاعرهم ما لا يُقْبَلُ أو يُعْقَلُ من المعتقدات، بل تتقبل عقولهم وترتاح مشاعرهم لما يحمل هذا الاعتقاد من خرافةٍ وشذوذٍ، وقد كتبت ذلك واحدة ممن تلقى هذه الأفكار ونشأ عليها وقد اختلفت عن سواها في انفرادها بعقل من طبيعته التساؤل والاستشكال.

الاستطلاع الذي قامت به مؤسسة **يانكلوفتش** (Yankelovich) عام (١٩٨٤م) أظهر أن (٣٩٪) من الأمريكيين يعتقدون أنّه عندما يقول الكتاب المقدس: إنّ الأرض ستدمّرُ بالنار، فإنّ ذلك يعني أننا سنقومُ نحنُ بذلك، مستخدمين القنابل النووية.

كما أنّ الاستطلاع الذي قامت به صحيفة **نيويورك تايمز** وقناة (CBS) عام (١٩٨٥م) أظهر أنَّ

نصف الأمريكيين لا يرون جدوى من أي مباحثات مع الاتحاد السوفييتي لأن معركة **أرمجدون** لا بدّ واقعةٌ.

إنّ واحداً من هؤلاء المبشرين وهو **بات روبرتسون** يوظّف أكثر من (١٣٠٠) فرد لإدارة قناته الفضائية، ويتبعها (٧٠٠) نادٍ تضمّهم رابطة تسمّى (نادي السبعمئة)، ولها محطاتُ إرسالٍ في (٦٠) دولة في العالم، هذه المملكةُ الواسعةُ الانتشارِ والنفوذِ جعلت صاحبَها يتطلّعُ إلى أن يكون متربعاً على سدة الرئاسة في البيت الأبيض، وكل من **جيمي سواكرت، وجيري فولويل، وكنث كوبلند** (Keneth Copeland)، **وريتشرد دوهان** (Richard De Haan) وسواهم يقومون بالنشاط نفسه، يَستقبِل حديثَهم، ويُصْغِي إلى رسالتهم عشراتُ الملايين من الأمريكيين.

يوجِزُ هذه الرسالة ويعبّرُ عنها **فولويل** في

تصريحٍ له بجريدة (Courier Time Telegram) نشر في السادس من شهر فبراير عام (١٩٨٣م) طالبَ فيه بأن تستولي إسرائيل على أجزاء من **العراق وسورية والكويت وتركية والسعودية ومصر**، وأنْ تضمّ **لبنان والأردن**، ونصَّبَ نفسه متحدِّثاً عن الله، حيث قال:

«لقد بارك الله أمريكة، لأننا تعاونَّا مع الله في حماية إسرائيل التي هي عزيزةٌ عليه»[٢٢].

هذا النوع من الهوس الذي يجعلُ صاحبَه كاشفاً عن إرادةِ اللهِ، متحدِّثاً باسمه، لا يزيدُ من غرابته وشذوذه إلا أن يوجدَ ملايينُ من البشرِ يؤمنون بذلك، يتحدّثون به، ويدعون إليه، فالنداءُ الذي وجهه المؤتمر المسيحي الصهيوني الذي انعقد في مدينة **بازل** في سويسرة في عام (١٩٨٥م) دعا اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل إلى الانتقال إليها، كما دعا العالم المسيحي إلى تسهيل هذا الانتقال، وعندما دعا أحدُ المشاركين

من الإسرائيليين إلى تعديل صيغة القرار، لأن ثُلث اليهود في إسرائيل يُفَضّلون مبادلة الأرض بالسلام، ردَّ عليه **فان در هوفن** (Van Der Hoven) في حنق ـ وهو أحدُ الناشطين في المؤتمر، والمشتركين في صياغة توصياته ـ قائلاً: «ليس ما يعنينا هو ما يصوت الإسرائيليون عليه، ولكنّ الذي يعنينا هو ما يقوله **الرب**، والربُّ أعطى هذه الأرض لليهود!!».

وقد صوّتَ المؤتمر بما يشبه الإجماع على توصيات المؤتمر المتضمنة لندائهم المذكور، من هنا نجدُ أنَّ فيلسوف المؤرخين **أرنولد توينبي** لم يكن متجنّياً عندما قال: «**إن الصهيونية عبادة إلٰه زائف**».

يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الحاضر أكثر من (٢٠٠) معهد ومدرسة وجامعة تخرِّجُ آلاف الطلبة المؤمنين بهذه الأفكار؛ مثل معهد **مودي الإنجيلي** (Moody Bible Institute)

في شيكاغو، وكلية **شيكاغو الإنجيلية** في فلادلفية، **والمعهد الإنجيلي** في لوس أنجلوس، والبروتستانت الإنجيليون هم مؤسِّسوا جامعة **هارفرد وبرينستون وبال.**

ويؤكد **ستوارزم** (Stuartsim) التشابه القوي بين الأصولية الأمريكية المعاصرة والتطرُّف الديني الذي ظهرَ في بريطانية في القرن السابع عشر، فكلا الفريقين شديدُ الميل إلى اليهود، حرفيٌّ في قراءته للنصوص الدينية.

والاعتقاد بالعصمة المطلقة هي مصدرُ اقتناعهم بما يتبنونه من مُعْتَقَدٍ، وكُتب الرؤيا (Visionary Books) هي مصدر الإلهام لدى الطرفين، بما فيها من نبوءات مثيرة ومخيفة عن هزيمةِ ما يدعونها قوى الشر بغضب من **الرب**، وعقيدة المانوية المؤمنة بإله للخير وآخرَ للشر تكاد تسيطر عليهم[٢٣].

الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الحاضر كما تراه **مَليز روثفين** (Malise Ruthven)

سوق موسعة للمُقدس، توجد فيها الكنيسة أو تُكيّفُ أو تُخترع لتناسِبَ أي توجُّه[٢٤]، وكما يقول **ستوارزم** نفسُه فإنّ **الأصولية المسيحية هي اللاعِبُ الرئيس في سياسة الجناح اليميني الأمريكي، ونظرتُه المنحازة لإسرائيل هي المؤثر الأساس في سياسة أمريكة الخارجية، والأصولية اليهودية هي العقبة العائقة عن السلام في الشرق الأوسط**[٢٥].

الشواهد على الدعوة إلى سيطرة التوجه الديني وسلطة الكنيسة صارت من الكثرة ـ كما أشارت **روثفين** ـ بحيث صار يتعذّرُ إحصاؤها.

وقد يكون مما يلقي مزيداً من الضوء على هذا الجانب إيرادُ بعض ما جاء في ذلك، ومنه قول **كاري بوير** (Gary Bauer) المستشار للرئيس **ريغن** والرئيس السابق لـ **مركز أبحاث العائلة**: «نحن ملتزمونَ بحربٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ وثقافيةٍ، هناك حديثٌ كثيرٌ عن التعددية في أمريكة، ولكنّ المؤكد أنّ قيم فئةٍ ما ستسودُ. . .».

وتعلق **بليكر** (Blaker) على ذلك بقولها:
«... الحربُ التي يتحدَّثُ عنها **بوير** ليست حرباً على الأعداء السابقين من الشيوعيين أو الحرب الحديثة على **ابن لادن** أو الإرهابيين الإسلاميين، إنّه يدعو إلى حرب بين الأمريكيين من أجلِ الحق في إملاء الأخلاق والسلوك الاجتماعي لأيِّ فردٍ في الولايات المتحدة»[٢٦].

ومثل ذلك ما قاله **كوش كارتني** (Coach Cartney) رئيس منظمة حافظي العهد (Pomise Keepers) وهو: «جيشنا قائدٌ للحرب، وسلاحه الله في هذه الحرب، وما على رجال هذه الأمة أن يسمعوه هو كلمة الله... إننا ذاهبون إلى الحرب كما لو كانت هذه الليلة...»[٢٧].

ومثل ذلك ما قاله **وليم مارتن** (William Martin) أستاذُ الديانة بجامعة رايس (Rice)، وأحدُ أعضاء منظمة إعادة البناء عن اعتقاد

وتصوّر المنظمة بقوله: «لدى المسيحيين تفويضٌ بإعادة بناء المجتمعات البشرية، وهم مقتنعون بأنّ الكتاب المقدس يقدّمُ المخطط ليشكل العالم الصحيح الذي يُعاد بناؤه...»[٢٨].

ويُعبِّر كاري نورث (Gary North) أحد مُنظري منظمة الحقّ المسيحي (Christian Right) عن الاتجاه السابق بقوله: «للمرة الأولى في ثلاثمئة عام يُظهَرُ عددٌ متنام من المسيحيين أنفسهم على أنّهم جيش في الحركة (الحق المسيحي) وهو جيشٌ يزداد نموه، ونحن نطلِقُ - عن وعي - الطلقة الأولى...»[٢٩].

وينقل **إدوين كاغن** (Edwin Kagin) عن **راندال تيري** (Randal Terry) مؤسس منظمة مقاومة الإجهاض قوله: «أريدك أن تدعَ موجةً من **الكراهية** وعدم التحمل تغمرُكَ، نعم الكراهيةُ شيءٌ طيّبٌ، هدفنا المسيحية، وعلينا واجب إنجيلي، إننا مدعوون من الله أن نستوليَ على البلادِ، وأن لا تكونَ هناك

تعدديةٌ في الرأي؟...»، وقد ارتفع أتباع الكنيسة التي ينتسب إليها **تيري** من (٣٢٪) إلى (٣٧٪) خلال الأعوام الأربعة الأخيرة من عشر الثمانينيات من القرن المنصرم[٣٠].

مما يستدعي الانتباه والقلق معاً تنامي هذا الاتجاه الأصولي في المجتمع الأمريكي، فقد بلغ عدد هذه التنظيمات تسعة وخمسين تنظيماً أو أكثر من ذلك، ممن أسماهم كل من **كابلان و وينبرغ** (Kaplan & Weinberg) **نخبة جماعة الكراهية**، ومنهم ذوو أصول يهودية ومن ذوي الأسماء البارزة في الكونغرس أو في مناصب رسمية عالية.

وقد أورد المؤلفان مقتطفاتٍ مما أذاعته بعضُ هذه التنظيمات مثل (KKK)، والأمة الآرية (A.N)، والحلفاء القوميون (N.A)، وكنيسة الخالق العالمية تحمل بعض أفكارهم الدالة على مدى التطرُّف الذي وصلوا إليه[٣١].

هذه الظاهرة التي تبدو غريبة وغيرَ منتظرةٍ، تُفسر ما ذكره **دي توكويفيل** (De Toquevill) من أنّ المجتمع الأمريكي من أكثر المجتمعات قبولاً لما يسمع أو يوجه إليه عكس ما يظن به من عقلانية...[٣٢].

ويوجز **نعوم تشومسكي** (Noam Chomsky) هذا المعنى بقوله: «تقوم الولايات المتحدة منذ ثلاثين عاماً بنسف السلام (سلام الشرق الأوسط)، وإذا حدثتُ جمهوراً من الأكاديميين أو المتعلّمين فلن يعرفوا عمّا أتحدثُ، لأنّهم لا يعرفون أنّ الولايات المتحدة هي التي تنسفُ السلام...»[٣٣].

هذه الصورة تلقي ضوءاً كاشفاً لفهم ما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الحاضر، لقد وضعَ مخططو الحرب ما عُرف باسم (القرن الأمريكي الجديد) قبل حادث **١١ سبتمبر** بأعوام، وهو يقضي بإسقاط نظام **صدام**، وإقامة

حكم في العراق موالٍ لأمريكة وإسرائيل[٣٤]، ومن الممكن أن يكون حادث ١١ سبتمبر مما عجَّل في الشروع في التنفيذ بإدارة الرئيس **جورج بوش**، لقد بلغت هذه الرغبةُ المتأججة في تنفيذ هذا المشروع إلى تقديم قائمةٍ ظهرت بالغةَ الدقةِ والتفصيلِ عن مفردات أسلحةِ الدمار الشامل التي يملكها العراق، يهدّدُ بها أمنَ الولايات المتحدة والبلادَ المجاورة وبقية العالم المتحضر[٣٥]، وبعدَ أعوامٍ من البحث والتفتيش في كلِّ الأماكن لم يستثنَ منها غُرف نوم الحاكم بأمرِه في بغداد، وبعد أكثر من عامين من الاستيلاء على العراق، وتجنيد آلاف من البشر مزوّدين بكل وسائل الكشف والتجسس والاستطلاع لم يُعْثَرْ إلّا على شيءٍ واحد هو **السراب**.

وإذا كان إسقاطُ نظام بالغ الوحشية والتدمير مثل نظام **صدام** أمراً مطلوباً ومرغوباً إلا أنّ شنَّ حربٍ على بلدٍ مستقلٍّ سُوِّغت بذرائع مكذوبة أو

غير موثوق بصحتها بادرةٌ غير مسبوقةٍ في التاريخ الحديث.

وفي ضوءِ ما تقدم يمكن فهمُ موقف الحكومات الأمريكية المتعاقبة ـ والحكومة الحالية بوجه أخص ـ التي أوقفت نفسها في إصرار يستحيل فهمه أو تسويغه على تشجيع إسرائيل في الخروج على كل قانون، وأن تنفردَ وحدها بحماية وتسويغ ما تقوم به إسرائيل من قتلٍ وتدميرٍ بسلاح **حق النقض**، كما يفهم رضاها عن جعل إسرائيل تقتل شعباً أعزلَ واجباً، وتعتبر ذلك وظيفة يومية يزاولها (جيش الدفاع الإسرائيلي)، فذلك نتيجة مباشرة لعقيدة (التدبير الإلٰهي) التي يؤمن بها المسيحيون الصهيونيون، إذ هي بعض الشروط لتقريب حدوث المحرقة الكونية في معركة **أرمجدون**.

٨ ـ التطرُّف في إسرائيل:

المتصفِّح لأوراق التاريخ تستوقفه ظاهرةٌ غريبةٌ لا يشاهد وقوعها إلا على مجموعة واحدة من البشر، لم يشاركهم فيها غيرُهم، هذه الظاهرة هي ما تعرّضت له هذه المجموعة من السبي والجلاء والتشريد الذي لحق بها على مدى فترات متطاولة من الزمن، وفي أماكن متعددة من الأرض، ومن قِبَل أمم مختلفة من البشر. هذه المجموعةُ التي تعرّضت لذلك دون سواها هم **اليهود** على امتدادِ تاريخهم القريب والبعيد، لقد تعرّضوا لذلك على يد **الآشوريين والبابليين والرومان** في الماضي البعيد، كما تعرّضوا له في الماضي القريب، إذ تعرّضوا للمطاردة والإجلاء من **فرنسة وبريطانية وبلجيكة وهنغارية وإسبانية والنمسة وهولندة وإيطالية وبافارية** (ألمانية قبل أن تتحد) **والبرتغال**، لقد أُجْلوا من هذه البلاد مرّة أو

مرّات، وأُحرقت أسفارهم في الميادين العامة في كثير من المدن.

من المتعذّر أن يُفسَّر ذلك مهما كان المفسِّر موضوعياً ومهما صار متجرداً، بأنَّ ما حدث لليهود هو اتفاقٌ غيرُ مكتوبٍ، على ظلمٍ بغيرِ سببٍ، يقع على فئةٍ من الناس دون سواها، تجمّعَ على هذا الاتفاق الظالم أممٌ عديدة في أزمنةٍ مختلفةٍ ومواقعَ متباينةٍ.

من المُرجح ـ إذا لم يكن من المُحتّم ـ أنّ ما حدث لليهود له أسبابه الموضوعية جعلت هذه الشعوب تقف الموقف نفسه، وتسلك السلوك نفسه في تعاملها مع فئة معينة من البشر، ومن المرجّح كذلك أنّ ما ازدحمت به كتب تاريخ وأدب هذه الأمم من مثل رواية **شكسبير** المعروفة باسم (تاجر البندقية) لم يكن صادراً عن تجنٍّ بلا سببٍ أملاه خيالٌ عليل.

الباحث عن سببٍ لهذا الوضع الغريب لا يجدُ له سبباً أو تعليلاً إلا في أمر واحدٍ أثّر وصاغ أهدافَ وأشواقَ طائفةٍ من اليهود - وليس جميعهم - حكمَ موقفها وصاغ سلوكها تجاه الآخر، وصار ولا يزالُ النبعَ الذي تستقي منه مشاعرَها، والقاعدةَ التي تبني عليها مواقفها، تستنجده وتستشهد به على سلامة الموقف وصحّة الممارسة، هذا العامل الحاسم هو الموروث الديني بأسفاره المختلفة، وما ورد فيها من نصوص تحدِّدُ وتحكمُ الموقفَ من الآخر، وطريقة التعامل معه، والحكم عليه، لقد جعلت هذه النصوصُ لليهود إلٰهاً يختلِفُ عن إلٰه البشر الذي خلقهم، وقدّرَ أعمالهم ومصائرهم وضلالهم أو هداهم، فهذه الأسفارُ جعلت إلٰه إسرائيل معادياً لكل البشر، ومحابياً لشعبٍ واحد يقاتِلُ بهم ومعهم (راجع الملحق رقم ١) يستنفرهم بكلِّ

وسائل الاستنفار، ويحرّضهم كلّ التحريض على معاداة سواهم وإبادته وتدميره.

القارئ لتاريخ اليهود وما عانوه خلال هذا التاريخ يجدُ عجزاً عن فهمِه وتعليلِه إذا قرأه معزولاً عن ذلك الإرث الديني، وأثر ذلك الإرث في أتباعه، وما يشاهِدُه لدى كثير من معلّمي اليهود وحاخاماتهم من حرصٍ شديدٍ على استبقاء ذلك الإرث، والتذكير به، والدعوة إلى الأخذ به سلوكاً ومزاولة، آمنَ بذلك عددٌ كبير من اليهود، وورّثوه لأجيالهم المتعاقبة إيماناً به، أو استغلالاً له لتحقيق مطامح قومية أو مطامع سياسية.

هذه النظرةُ المُستمدَّةُ من الموروث الديني صارت سياسةَ دولةٍ، وفلسفةَ مجتمعٍ، وبرامجَ تعليمٍ، بعد قيام دولة إسرائيل، لقد صارت نبتةً تسقيها الدولة وتحميها، تجعلها محوراً رئيساً

للتعليم، ومطلباً من مطالب التربية، وحقّاً من حقوق الوطن.

من المؤكد أنّ هذا المسلك الذي انفردت به إسرائيل راجعٌ إلى الشعور بأنّها قامت على أرض اغتصبتها من أهلها، وتحافظ على وجودٍ غيرِ مشروعٍ، وتستبقيه بينَ البقية الباقية من شعبٍ شرّدت أكثره، وتعامِلُ بالقتل والترويعِ البقيةَ الباقيةَ منه، إنَّ وضعاً كهذا يلجِئُ صاحبَه إلى اتخاذ كل وسيلةٍ لحجب أيِّ شعورٍ بالخطيئة والذنبِ يخالط وجدان من يقومُ بذلك، أو يدعو إليه، أو يشاهده، ولذلك تكون تغذيةُ الناشئةِ بما يخلقُ حصانةً تحجبُ هذا الشعور مطلباً لا غنًى عنه، ويصير زرعُ هاجسِ الخوف من الآخر وكراهيتُه أقوى الوسائل إلى استجازة ما تقومُ به من مظالم.

تحمِلُ رايةُ إحدى فِرَق الجيش الإسرائيلي

عبارةً تقول: «صنعَ جيشُ الدفاع الإسرائيلي الجنديَّ الإسرائيليَّ، وصنعَ الجنديُّ إسرائيل»[٣٦]، هذه العبارةُ تفسِّرُ في وضوحٍ لماذا يكونُ الفتك المتغذّي بالكراهية سياسةً ومنهجاً، وهو الوقودُ للعداوةِ، والإعدادُ لمزيدٍ من العدوان والتوسع، وسيظل ذلك ملازماً لهذا الكيان طالما بقي الارتباطُ بين الخرافة (الموروث الديني) والحماس له.

من الملاحظ أنّ ما وصلت إليه إسرائيل من استيلاء على أرض، والسيطرة على شعب، وانتصار على مجاور، لم يُعطها شعوراً بالأمن والاستقرار، بل إنَّ درجةَ مخاوف إسرائيل، وتوترها المتمثلين في تراكم ما تحشده من وسائل حرب يزدادُ بمقدار ما تصلُ إليه سيطرتها من توسع وامتداد، إذ إنّ المقاومة لعدوانها يزدادُ بازدياد هذا التوسع، سواء لدى من يقع عليه هذا العدوان إبادةً

وتدميراً، أو من يشاهده من بُعْدٍ قهراً وإذلالاً وشعوراً بالعجز، وقصوراً عن نُصرة قريبٍ يُظلم وحماية وطنٍ يُغتصب.

لقد صارت الأصوليةُ عقيدةً والإرهابُ ممارسةً الدعامتين اللتين يقوم عليهما كيان إسرائيل، وتحوّلَ ذلك إلى سياسةِ دولةٍ، ومنهجِ تعليم، وعنصرٍ رئيسٍ في التعليم العام، ولأجل ذلك أُنْشِئَتْ دائرةٌ خاصةٌ بالتعليم الديني في وزارة التربية يرأسُها رجلُ دينٍ، وليس لوزيرِ التعليمِ سلطةٌ على هذه الدائرة.

في (١٤) مايو من عام (١٩٤٨م) ـ أي بعد قيام إسرائيل بفترة قصيرة ـ أعلن **بن غوريون** (رئيس الحكومة الإسرائيلية آنذاك) أمام حشدٍ كبيرٍ ما عُرف بـ(وثيقة الاستقلال) التي صارت منهجاً لما أسماه (الأمة اليهودية)، وقد جسَّدت هذه الوثيقةُ آمالَ وتخطيطَ أولئك الأصوليين من اليهود،

وجاءت سياسةُ التعليم مُرتبطةً بهذه الوثيقة، ظهرت في قانون التعليم، الذي صدر عام (١٩٥٣م)، وقد نصّتِ **المادةُ الأولى** منه على أنّ «خلاص الشعب اليهودي يجب ألّا يكون مجردَ إيمانٍ، بل يجبُ أن يؤثر في الحياة اليومية».

وجاء في **المادة الثانية** منه ما ترجمته: «يجبُ أن يخضعَ الحاضرُ لتقويمٍ متواصلٍ في ضوء أحلام الشعب اليهودي وذكرياته، وأن ينعكسَ ماضي اليهود على التعليم، لأنّ هذه مقوّمات لا بُدّ منها لبناء فلسفة التعليم». وقد جاءت مواد التعليم - الديني منه بوجهٍ أخص - مملوءةً بالحديث عن أرض إسرائيل الكبرى، وأرض المعادِ، والدعوة إلى الهجرة إليها، وبناء الهيكل، والحق التاريخي، وما إلى ذلك، جاعلةً كلَّ هذا تحقيقاً لإرادة **الرب** ومشيئته.

هذا التوجُّهُ هو ما حمل **مايكل فنسي** على

أن يقول ما ترجمته: «ولادةُ إسرائيل ليست ولادةً طبيعيةً تقوم على العلاقة بين الأرض والإنسان، ولكنّها تقومُ على الميثاق الديني...».

كما جعل هذا التوجه **داني كابلان** يقول: «الخدمةُ في الجيش الإسرائيلي هي جسرُ العبور إلى العضويةِ الكاملةِ للدين المدني الصهيوني»[٣٧].

وذلك التوجه نفسه هو ما حمل **عازر وايزمان** على التحذير من أن تتحوّلَ إسرائيل من دولة لها جيش إلى جيش له دولة[٣٨].

الكتب الدراسية التي وضعها كل من: **م.هوفاز**، **وب.أحياه**، **وشالوم أبخر**، لطلاب المرحلة الابتدائية والثانوية تنطوي على تسويغٍ لكل عدوان تقوم به إسرائيل، ووصفٍ للعرب بالتوحش والهمجية.

في دراسة بعنوان (وجه في المرآة) قام بها

البروفسور **أدير كوهين** أستاذ أدب الطفل بجامعة **تل أبيب** بعد وقوفه على ما يقربُ من ألف كتاب من مصادر ثقافة الطفل الإسرائيلي ظهرت الصورةَ المشحونةَ بالتحقير والبغضاءِ للعرب، فهم قتلةٌ متوحّشونَ مختطفون للأطفالِ.





الباب الثاني

الصلة بين التطرُّف والثقافة

١ ـ الثقافة.

٢ ـ تعريف الثقافة في هذا البحث.

٣ ـ هل هناك صلة بين التطرُّف والثقافة؟

٤ ـ من تاريخ المسلمين.

أ ـ ما جاء في القرآن الكريم.

ب ـ ما جاء في السنّة النبوية.

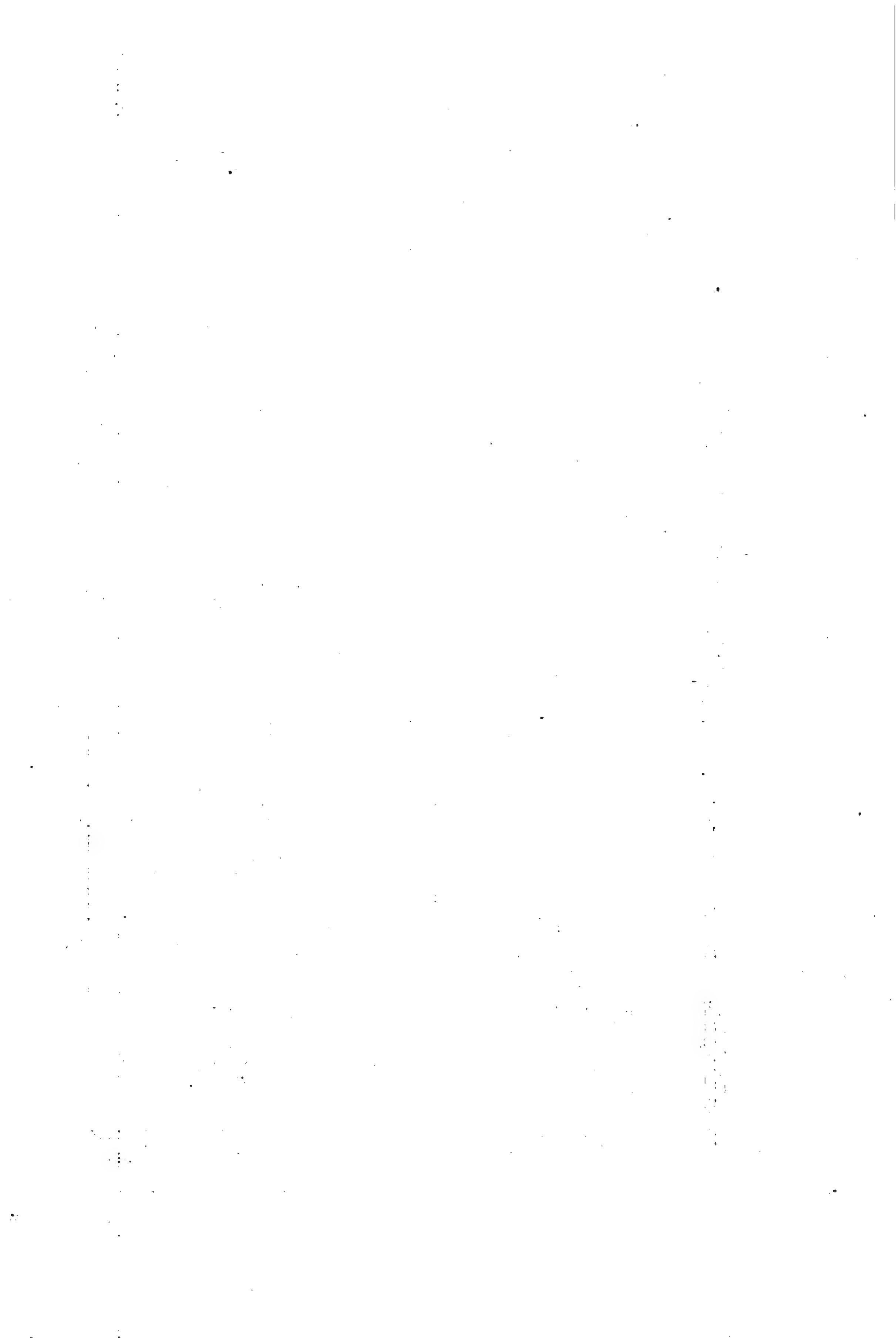
٥ ـ بين المثل والممارسة:

ـ علاقة المسلمين بسواهم في المشرق الإسلامي.

ـ علاقة المسلمين بسواهم في الأندلس.

ـ حال المسلمين مع اليهود في الأندلس.

٦ ـ التطرُّف في ماضي المسلمين وحاضرهم.





الصلة بين التطرُّف والثقافة

١ ـ الثقافة:

كما لم يرد ذكرٌ لكلمةِ التطرُّف في أكثر المعاجم العربية، ولم يردْ تعريفٌ وافٍ لهذه المفردةِ في المعاجم الأجنبية بالمحتوى والإيحاءات التي تحملها في وقتنا الحاضر، فلم يزدِ **القاموس المحيط** عن القول: «(ثَ قُ فَ) كـ(ك رُمَ) صار حاذقاً فطناً خفيفاً، وثقّفه سواه وثاقفه فثقّفه: غالبه فغلبه».

وفي **الصحاح**: «(ثقف): الرجلُ صار حاذقاً خفيفاً». وفي **اللسان** شيءٌ قريبٌ من ذلك.

وعرّف **المعجم الوسيط** الثقافةَ بأنّها «العلومُ والمعارفُ والفنونُ التي يُطْلَبُ الحِذْقُ فيها».

كما عرّف قاموس **وبستر** (Webster) الثقافة بأنّها: «نمطٌ متكامِلٌ للمعرفة الإنسانية، والاعتقاد والسلوك القائم على مقدرةِ الفردِ على التعلّم ونقل المعرفةِ إلى الأجيالِ التاليةِ...».

وفي قاموس **أكسفورد** (Oxford): «الثقافةُ مرحلةٌ أو حالةٌ من التطوّرِ الفكري والحضاري شاملةٌ العلومَ والآدابَ...».

وفي الغرب، من المرجَّح أنَّ هذا المصطلح لم يعرف بمفهومه الحاضر أو قريب منه إلا بعد الثورة الصناعية، وقد حاول كثيرٌ من كُتّاب الغرب وضعَ تعريفٍ لهذا المصطلح كما فعل **ريموند وليمز** (R.Williams) في مجلة السياسة والأدب (Politics & Letters)، إلا أنّه لم يُفلِحْ في الوصولِ إلى تعريفٍ مانعٍ جامعٍ لها. وهنا يجب أن نعرِّفَ الثقافة بما هو الأقرب إلى مفهومها في الوقت الحاضر في الشرق والغرب وما يحمله هذا المفهوم

من ظِلال وإيحاآت شاملة لقدرٍ من المعارف ومستوى الحياة وأنماط السلوك، وعلى ذلك يمكن القولُ: إنّ تثقيفَ النفسِ هو الرقيُّ بها من طورها الأدنى في مكانة الإنسان إلى مكانها الأعلى من قيادة الإنسان، والحدُّ الأدنى من الثقافة زادٌ من المعارف ونصيبٌ من التجربةِ تعينُ على سداد الفهم، وإصابة الحكم، وليس هناك تخومٌ لحدّها الأعلى، حيث تكونُ وقودَ الفكرِ وإضاءةٌ له في إشراقه وإيراقه.

وفي واقعِ النّاس تقومُ تلك العلاقة الطردية الواضحة بين نصيب أي شعبٍ من الثقافةِ ومحتوى هذه الثقافة، ومكانه من سلّم الرقي الإنساني قيادةً وريادةً، قبضاً على ناصيةِ القوّة، واكتشافاً لأسرار الكون، واستفادة من سُننه.

وحيث إنّ الفكرَ سابقٌ للحدث، بل مقرر له ومفضٍ إليه، فإنّ الصواب في أيِّ حدث وسلامةَ أيِّ موقفٍ يحكمُه نوعُ ومحتوى الثقافة التي تُغذّي

الفكر المحدِثَ، وحظُّه منها خَفَّ وزنه أو ثقُل.

ولا يجد الباحث عناءً في إدراك صحة هذا التحليل في واقع المجتمعات، وما تدلُّ عليه إحصاءات المنظّمات الدولية، ومنها منظمة التربية والعلوم والثقافة، وعلى ذلك يمكن أن نُلحق بما تقدّم تعريفاً للثقافة في هذا البحث بما يلي:

٢ ـ تعريف الثقافة في هذا البحث:

نعني بالثقافة في هذا البحث:

جِماعُ المعارِفِ والتجارِبِ والخبراتِ والبيئةِ ونمطِ الحياة الذي يؤثِّرُ على الفرد من حيث تفكيره وسلوكه وتعامله مع الناسِ والظروف والأحداث، وما يصوغُ نظرتَه إلى الكونِ والحياةِ، ويحدِّدُ موقفَه من الأفكارِ والمذاهب والمعتقدات.

٣ ـ هل هناك صلة بين التطرُّف والثقافة...؟

سؤال يمكن أن يُجاب عليه بنعم أو لا،

يمكن أن يُجاب عليه بـ(لا) لأنّ الثقافةَ - أيَّ ثقافةٍ - لا تخلقُ التطرُّفَ **إذا كان حامِلُ هذه الثقافة لا يحمِلُ بذرته**، ذلك أنَّ الثقافةَ الواحدةَ - بل البيئة الواحدة التي تشمل النشأةَ والتعليمَ والمجتمعَ والموروثَ والمُعاشَ وغيرَ ذلك - في مجتمع لا تجعلُ أفرادَ هذا المجتمعِ متفقين في ميولهم وسلوكِهم، وفيما يحبّون ويكرهون، ولا في نظرتهم إلى الكونِ والناسِ والحياةِ.

ومن ناحيةٍ أُخرى يمكن أن يُجاب على هذا السؤال بـ(نعم) لأنّ التطرُّف يمكن أن يقوى أو يضعُف، ويخمُد أو يشتعل، **عند من يحمِلُ بذرته**، أي يمكِنُ أن يتحوّلَ من وجودٍ بالقوة إلى وجودٍ بالفعل، بسبب الثقافة التي يولَدُ فيها الفردُ، ويتغذّى بها، ويعايشها.

وقد مرّ في الجزء الأول من هذا البحث من الشواهد في كلِّ الثقافات، وبين كل الأمم ما يدلُّ

علـى ذلـك ويؤكـده، كـذلـك جـاء تـاريـخ الـعـرب والمسلمين كغيرهم، يجدُ فيه القارئُ أمثلةً من التسامح والتعصب، والتطرُّف والاعتدال، **بسببٍ من طبيعةِ البشرِ، لا بسببٍ من إملاء ثقافتهم.**

ما تحويه الصفحات التالية عن المسلمين ليس سوى نماذج قليلة مما اشتملت عليه أوراقُ التاريخ الإسلامي، وهي تدلُّ على **أنَّ السماحة هي الأغلبُ الأعمُّ**، وأنَّ التطرُّف والغلوَّ نقطٌ قليلةٌ سوداء في صفحة لامعة البياض، وقد مرَّ فيما تقدم إلمامة وجيزة عن التطرُّف لدى كثير من الأمم، كما جاء الحديثُ عن صلة الثقافة بالتطرُّف لدى فئات من المجتمع الأمريكي وفي إسرائيل، دولة وغالبية مجتمع، لذلك سيكون هذا البحث محصوراً على دراسة العلاقة بين الثقافة العربية ـ الإسلامية والتطرُّف لما مرّ، ولما يملأ الساحة الدولية وما تبثه وسائل الإعلام فيها من دعوى

تربط الثقافة الإسلامية بتطرُّف أفضى ويفضي إلى الإرهاب.

٤ ـ من تاريخ المسلمين:

المكوِّنُ الأساسيُّ للثقافة عند المسلمين ـ عرباً وغيرَ عربٍ ـ هو **القرآنُ الكريم** بما فيه من توجيهٍ طالبَ الناسَ بالالتزام به، وأنْ يكونَ الحاكِمَ لسلوكِ الفردِ والجماعةِ.

ومكانةُ **القرآن الكريم** في عقولِ المسلمين وتأثيرُه في وجدانهم مكانةُ العامِلِ الفاعلِ في تكوين شخصية المسلم، بحيثُ يقِلُّ أن يُلاحظ مظهرٌ من مظاهر حياة المسلمين مبتوتةَ الصلةِ بهذا التأثير.

والمكوّنُ الثاني لهذه الثقافة هو **السنة**، وهي ما صحَّ من قول النبيِّ ﷺ أو عُرف من عمله، يأتي بعدَ ذلك العاملُ الثالثُ في تكوين هذه الثقافة

وهو ما يحيطُ بالفرد، ويؤثر فيه من عوامل نشأته وتعليمه ومخالطته في مجتمعه أو خارج مجتمعه.

على أنّ ما ينبغي ملاحظتُه أنّ المصدرين الأولين (**القرآن والسنّة**) بما لهما من تأثير في صياغة نظرة المسلم للكون والحياة، وفي توجيه السلوك، لا يعني بالضرورةِ أنَّ نظرةَ وسلوكَ جميعِ المسلمين أو الغالبيةِ منهم انعكاسٌ تامٌّ لما جاء في هذين المصدرين من توجيهٍ، وواقعُ المسلمين وتاريخُهم هو المرآة الدالّةُ على ما بين النظرية والتطبيق، أو التوجيه والممارسة من مفارقةٍ أو مطابقةٍ.

لن يكونَ هذا البحثُ إحصاءً أو استقصاءً لما جاء في هذين المصدرين ولكنّه إشاراتٌ إلى المعالم البارزة في كلٍّ منهما، تكفي للدلالة على ما إذا كان ما جاء فيهما باعثاً على التطرُّف أم صاداً عنه، وما أبانه من ذلك تاريخُ المسلمين قرباً

أو بعداً مما جاء من توجيه في هذين المصدرين.

أ ـ ما جاء في القرآن الكريم:

أول ما يستوقف نظر القارئ للقرآن الكريم هي النظرة الكونية للإنسان من حيث إنسانيته فقط، مهما كان جنسه أو لونه أو معتقده، تتجلّى هذه النظرة في قول الله تعالى مخاطباً للرسول ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[39].

فرسالةُ الإسلامِ رحمةٌ، وليست شقاءً، وهذه الرحمةُ للبشر كافةً، وليست خاصّةً بفئة منهم، ومِنْ هذه الرحمة التوجيهُ الصريحُ أَنْ لا إكراه في الدين: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ . . .﴾[40].

ثم يتكرر هذا التوجيه بصيغةِ الاستفهام الإنكاري: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[41].

وقد جعل الله تعالى ممّا منّ به على المسلمين أنْ جعلهم أمةً وسطاً ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ...﴾[٤٢].

ومن الجدير بالذكر إشارةُ الآيةِ إلى أنّ التوسط الذي لا تتأتّى العدالةُ في غيابه هو المؤهِّل لهذه الشهادة، فالشهادةُ على الناس نتيجةٌ للتوسّط، وهو المؤهل لها.

ولتأكيد الاعتدال ما جاء في القرآن الكريم من إنكارٍ للغلو، ونهيٍ عنه في أكثر من موضعٍ في القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ ...﴾[٤٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ ...﴾[٤٤]. ففي هاتين الآيتين جعلَ الغلوَّ مقترناً بالضلالِ والبعدِ عن قولِ الحقِّ، وهو يرسمُ

صورةً واضحةَ المعالمِ في مسالكِ هذا الأُفق الرّحْبِ للتعامل مع الناس كافةً، وفي ذلك يقسّم المخالفين إلى مستوياتٍ أربعة، جعلَ لكلٍّ مستوًى منها قانوناً للتعامل معه:

المستوى الأول: وهو مستوى يضمُّ جميع البشر الموافق والمخالف، تعدّدت أعراقهم وأديانهم وألوانهم وأنماط حياتهم وثقافاتهم، وجعل قانونَ الموقفِ منهم التعارف لا التخالف، ونصَّ على أنَّ مقياس الفضل فيهم هو البعد أو القرب من **التقوى**، وهي في التعبير القرآني الخشيةُ من اللهِ، تحجبُ صاحبَها عن الشرِّ، وتلزمُه بالصالح من العمل، وذلك هو المفهوم من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ...﴾(٤٥)، جاء الخطاب في هذه الآية للناس، و(أل) التعريف جاءت هنا لاستغراق

الجنس، وتأكَّد هذا الاستغراقُ بإشارةِ الآيةِ إلى الشعوب والقبائل، وجعلتْ هذا الاختلافَ من دواعي التعارفِ والتآلفِ، لا مِنْ أسباب الفُرقة والاختلاف.

المستوى الثاني: هو موضعُ فئةٍ من الناس مخالفةٍ في الدين، ولكنّها مُسالمةٌ للمسلمين، غيرَ ساعيةٍ لهم في أذًى، وهذه جعل قانونَ التعامل معها قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ...﴾(٤٦) فالقانون هنا معهم ليس الإقساط إليهم وهو العدل فقط، بل تجاوزَ ذلك إلى الأفق السامي من خُلُقِ الإنسان، وهو **البِرُّ** بما تحويه هذه الكلمة من إيحاءات وظلال، وهو أعلى درجات الإحسانِ، كما يُستدلُّ على ذلك من وصف يحيى بقوله: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾(٤٧).

المستوى الثالث: وهو المكان الذي يضعُ **القرآنُ الكريم** فيه المخالفَ في الدينِ، المجادلَ عن معتقده، أي من يطلبُ لنفسِه حقَّ الإسماعِ كما يُطلَبُ منه واجبُ الاستماعِ، وفي هذا الجانبِ جاء قانون: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ . . .﴾[٤٨]، ومن الإحسان حُسْنُ الخطاب وحُسْنُ الاستماع، وحُسْنُ الإسماع.

ومما يستوقف الانتباه أنَّ الآية لم تأتِ بلفظ: وجادلوا أهل الكتاب **بالتي هي أحسن**، لتُفهِمَ وجوبَ المجادلة، على أن يكون طابعُها الإحسانَ في المجادلةِ، بل إنّ الآية تنهى عن المجادلة **إلا بالتي هي أحسن**، وهذا المطلبُ الذي يوجِّه الله عباده إليه بلغ أفقاً لم يُعرف أنَّ قوانينَ البشر أو دساتيرهم بلغته في سموّه، ولا أكرم في إعطاء الحق للآخر، وذلك قول الله تعالى على لسان نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي

﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٤٩]، فذلك لا يعني الشكَّ في موضع الحق أين يقع من الطرفين المتخالفين - والرسول ﷺ مؤيّدٌ بالوحي - وإنّما يعني تقريرَ حقِّ الآخر في التفكير والتعبير والمحاورة؛ لأنَّ ذلك هو المدخل إلى إقناعه لا اقتلاعه[٥٠].

المستوى الرابع: وهو مكانُ المخالفين المحاربين، وقد جاء قانون التعامل مع المحاربين في عِدّةِ مواضعَ من القرآن الكريم [الآيات ٣٩ - ٤٠ من سورة الحج، والآيات ١٩٠ - ١٩٢ من سورة البقرة، والآيات ٨٨ - ٩٠ من سورة النساء، والآيات ٦٠ - ٦١ من سورة الأنفال...] وفي غير ذلك من المواضع، والقارئُ لهذه الآيات يجدُ سلكاً واحداً ينظمُها جميعاً، وهو أنها تتحدّثُ عن قانون حربٍ لا قاعدةِ سلمٍ، وتبيِّنُ التصرُّفَ في حالة المواجهةِ لا المصالحةِ، وذلك أمرٌ مفهوم في ظروفه ودواعيه، فليس من طبيعةِ البشر أن يُطلب

من جنديٍّ في ساحةِ قتالٍ أن يقابِلَ بالمعانقةِ والمصافحةِ خصماً يلقاه بفوهةِ مدفعٍ أو إطلاقِ صاروخٍ.

ب ـ ما جاء في السنّة النبوية:

جاء في كتبُ الحديث الشريف قول النبي ﷺ: **«مَنْ آذى ذِمّياً فأنا خَصْمُهُ يومَ القِيَامَةِ»**. وكان عملُه إكمالاً لما جاء في القرآن الكريم، وإنزالاً له إلى الواقع، فالصحيفةُ التي أمر النبيُّ ﷺ بكتابتها ميثاقاً بين أهل (المدينة) كافّةً، جعلتِ المسلمينَ وغيرَهم من ذوي الديانات الأُخرى يداً واحدة وصفاً واحداً على مَنْ يعتدي عليهم، ولم يختلَّ هذا العهدُ مع اليهودِ إلّا بعدَ ما ظهر من نكثِهم به.

وجاءه وفدُ نصارى نجران، فاستقبلهم في المسجدِ، وصاروا يقيمون صلاتهم في جانبٍ منه، وكتبَ لهم كتاباً أعطاهم فيه جوارَ اللهِ وذمّة محمد

رسول الله ﷺ على أنفسِهم وملَّتِهم وأموالهم وأراضيهم وبِيَعهِم.

وجاء **أبو بكر** رضي الله عنه فأوصى لهم بما أعطاهم الرسول ﷺ وتبعه **عمر** رضي الله عنه في ذلك[٥١].

وجاء هذا التوجُّه واضحاً فيما عمله **عمر** رضي الله عنه عندما دخل القدس الشريف، وما أعطاه لأهلها من أمنٍ على أنفسهم وأموالِهم وبِيَعِهم، وامتناعه عن الصلاة في كنيسة القيامة حتى لا يُتّخذ من صلاته ذريعة لتحويلها مسجداً، وهو ما عرف بالعهدة العُمَرية.

٥ ـ بين المثل والممارسة:

علاقة المسلمين بسواهم في المشرق الإسلامي:

أثر هذا التوجيه الذي جاء في القرآن الكريم وسنّة النبي ﷺ هو الغالبُ في تاريخ المسلمين، فقد توسّع **معاويةُ بن أبي سفيان** في إلحاقِ

المسيحيين بعمله، واختارَ **عبدُ الملك بن مروان** الراهبَ **أثنسيوس** (Athnsius) مؤدِّباً لأخيه عبد العزيز، وكان **يوحنا الدمشقي** من البارزين في بلاطه(٥٢).

وذكر **توماس أرنولد** (Thomas Arnold) عن كثير من المؤرّخين أنّ الراهب **تيمو ثاوس** (Timo Thous) يعقِدُ مناظراتٍ بين الأديان في مجلس الخليفتين **الهادي والرشيد**(٥٣).

وفي خلافة **المعتضد** العباسي كان **محمد بن يوسف** ـ وهو مسيحيٌّ ـ والياً على الأنبار، كما كان **نصرُ بن هارون** المسيحي الوزيرَ الأوّلَ للسلطان **عضد الدولة البويهي**(٥٤)، كما كان كثيرٌ من الأعلام في مجالات الطب والأدب والترجمة ـ من غير المسلمين ـ يحتلّون مكانةً بارزةً بين المسلمين.

وفي العهد العباسي كان الحَبْرُ الأكبر لليهود يخرجُ في الأعياد وفي المناسبات الدينية الأخرى في موكبٍ حافلٍ بالزينة والأُبّهة.

ومن الوثائق ذات الدلالة الواضحة على نوع العلاقة بين المسلمين والمسيحيين الرسالة التي ذكرتها **زغريد هونكه** أنّ البطريرك **تيودسيوس** من رهبان بيت المقدس بعثها إلى الأسقف **أكتاتيوس** في بيزنطة في القرن العاشر الميلادي يقول فيها: «إنّ العربَ هنا هم رؤساؤنا الحكّام، وهم لا يحاربون النصرانية بل على عكس ذلك يحبونها ويوقّرون رهباننا ويجلّون قسّيسينا»(٥٥).

وممّا يدخلُ في ذلك ما كتبه الراهب **أودو أف دويل** (Odo of Deuil) الذي صحب **لويس السابع** في الحروب الصليبية، عن بعض أحداث هذه الحروب وهو قوله:

«بينما كان الصليبيون يحاولون شقَّ طريقهم إلى بيت المقدس مُنوا بهزيمةٍ فادحةٍ على أيدي الأتراك، وبلغوا مدينة **أتالية** الساحلية، وفيها تمكّنَ الذين استطاعوا أن يرضوا المطالب الفادحة التي

يفرضها عليهم تُجّار **الإغريق** من الإبحار إلى إنطاكية، وخلّفوا وراءهم المرضى والجرحى تحت رحمةِ حلفائهم **الإغريق**، على أن يمدّوا الحُجّاجَ بعدد من الحرس، وأن يعتنوا بالمرضى والجرحى، ولكن لم يكد الجيشُ يغادِرُ المكانَ حتّى أخبر الإغريقُ الأتراكَ بحالِ الحُجّاج وراقبوا في صمتٍ ما أصابهم من المجاعةِ والمرض وسهامِ العدو، وحاولت جماعةٌ منهم تبلغ ثلاثة أو أربعة آلاف الفرار، ولكنّ كان الأتراك بلغوا المعسكر، وهجموا عليهم ليكملوا انتصارهم، وكان حالُ من نجا من الموت يبلغُ حدَّ اليأس لو أنَّ منظرَ شقائهم لم يُذِبْ قلوبَ المسلمين، فعالجوا المرضى، وأغاثوا الفقير والجائع، وبذلوا لهم العطاءَ في سخاءٍ، فكان البَوْنُ شاسعاً بين المعاملة الرحيمة التي لقيها الحُجّاجُ من الكفار (المسلمين) وما عانوه من قسوة إخوانهم المسيحيين **الإغريق**. . .»(٥٦).

ومن أكثرِ الشواهد دلالةً على العلاقة بين المسلمين وسواهم ما أورده **أسامةُ بن منقذ** في كتابه **(الاعتبار)**، من أنَّ صلاح الدين الأيوبي كان يبعث طبيبه لمعالجة **فردريك**، قيصر ألمانية، وأكثرُ من ذلك ما أوردته **زغريد هونكه** عن هذه الصلة بين الاثنين، وأنّها بلغت حدّاً جعل **صلاح الدين** يبعث وفداً للقيصر (١١٧٣م) يطلبُ منه يدَ ابنته لأحد أبنائه(٥٧).

ويذكر **ابنُ جبيرٍ** في رحلته أنّ قوافلَ التجارةِ كانت تتجه من الجنوب إلى الشمال وبالعكس، أي بينَ بلادِ المسلمين وبينَ البلاد الأوروبية حاملةً للبضائعِ وعائدةً بها، والجيوشُ تتقاتل.

وكما كانت هذه العلاقات قائمةً بين الشعوب عامةً، فقد كانت قائمةً كذلك بين الأفرادِ منذُ فجر الإسلام، فقد جاور النبيُّ ﷺ غيرَ المسلمينَ في المدينةِ وقَبِلَ شيئاً مما يهدون إليه، وقصّةُ المرأةِ

اليهودية التي بعثت للنبي ﷺ كتف شاة، ورَهْنُ درعِهِ لدى يهوديٍّ من الأمور المعروفةِ في مصادر التاريخ.

ولم يقطع **حسّان بنُ ثابتٍ** صلته بالملوك **الغسانيين** بالشام، بل لم تمنعه عودةُ **جَبَلَةَ بنِ الأيهمِ** إلى النصرانية في عهدِ **عمرَ** من تلك الصلة كما ورد ذلك في ديوانه، حيث يقولُ في إحدى قصائده في مدحِ **جَبَلة بن الأيهم** حتّى بعد عودته إلى الروم بعدَ أن تنصَّر:

لَمْ يَنْسَنِي بالشَّامِ إذْ هُوَ رَبُّها
أَيْضاً وَلَا مُتَنَصِّراً بالرُّوْمِ

وقد بقيتْ طائفةٌ من قبائل العرب، ومنها قبيلة بني كلب على نصرانيتها إلى ما بعد الخلافة الراشدة، ولعلّ **مصعب بن الزبير** يشيرُ إلى ذلك عندما قال:

أُحِبُّ بني العَوَّام طرّاً لِحُبِّهَا
وَمِنْ أَجْلِها أَحْبَبْتُ أَخْوَالَها كَلْبا
فَإِنْ تُسْلِمِيْ نُسْلِمْ وَإِنْ تَتَنَصَّرِي
يُعَلِّقْ رِجَالٌ بَيْنَ أَعْيُنِهِم صُلْبَا

وقد حوت كتب الأدب شواهدَ كثيرة عما نشأ من الأُلفة بين المسلمين وغيرهم من أتباع المعتقدات الأخرى، ومنه ما روته عن **خلف بن المثنى** من قوله: «شهدنا عشرةً في البصرة يجتمعون في مجلس لا يُعرَفُ مثلُهم علماً ونباهةً وهم: **الخليل بن أحمد** (سني)، **والحميريُّ الشاعر** (شيعي)، **وصالحُ بن عبد القدوس** (شاك)، **وسفيانُ بن مجاشعٍ** (خارجي)، **وبشّار بن برد** (شعوبي ماجن)، **وابنُ رأس الجالوت** (يهودي)، **وابن نظير المتكلِّم** (نصراني)، **وعمر بن المؤيّدِ** (مجوسي)، **وابن سنان الحرّاني** (صابئي)؛ كانوا يجتمعون، فيتناشدون الأشعار، ويتناقلون الأخبار

في مودةٍ لا تعرِفُ منهم الاختلافَ الشديد في دياناتهم[٥٨].

والرسالةُ الواردة في (الملحق رقم ٢) **التي كتبها عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى المسيح بن إسحاق الكندي**، تدُلُّ دلالة واضحة على ما جاء في هذا المعنى.

الألفة بين المسلمين وسواهم من أصحاب الديانات الأخرى تملأ كتب الأدب ومن ذلك قول **أبي الطمحانِ الأسديِّ**:

معي كُلُّ فَضْفَاضِ الثِّيابِ كأنَّهُ
إذا ما جَرَتْ فيه المُدَامُ فَتِيْقُ
بنو الصُّلْبِ والحدّاءِ كلُّ سُمَيْذَعٍ
له في العُرُوْقِ الصَّالِحَاتِ عُرُوْقُ
وإنِّي وَإِنْ كانوا نَصَارَىٰ أُحِبُّهُمْ
وَيَرْتَاحُ قَلْبِي نَحْوَهُمْ وَيَتُوْقُ

ومثل ذلك قولُ **مسعود الفزاري**[٥٩]:

وَجَدْنا فِي اليَهُوْدِ رِجَالَ صِدْقٍ
علىٰ ما كانَ مِنْ دِيْنٍ يُرِيْبُ
لَعَمْرُكَ إنَّنِي وَبَنِي غَرِيْضٍ
لمثلُ المَاءِ خَالَطَهُ الحَلِيْبُ
خليلانِ اكْتَسَبْتُهُمَا وَإنِّي
لخلَّةِ ماجِدٍ أبداً كَسُوْبُ

ومما هو بالغ الدلالة في هذا الجانب تلك العلاقة الوثيقة بين **أبي إسحاق الصابي** ـ وهو أحد الأعلام البارزين في الأدب ـ وبين **الشريف أبي أحمد الموسوي**، وتحوُّل هذه العلاقة إلى مودَّةٍ حميمةٍ بين ابنه **الشريف الرضي** صاحب المكانة في الدين والأدب، وبين **أبي إسحاق الصابي** نفسِه، وهي مودةٌ جعلت **الشريفَ الرضيَّ** يتمنّى لو يهب صديقه في شيخوخته جزءاً من عمره، وأن يحملَ عنه عبءَ شيخوخته، وذلك حين يقول[٦٠]:

ولو أنَّ لي يوماً على الدَّهْرِ إمرةً

وكانتْ ليَ العدوى على الحَدَثانِ

خلعتُ على عطفيكَ بُرْدَ شَبِيْبَتِي

جَوَاداً بِعُمْرِي واقتبالَ زَمَانِي

وحمّلتُ ثِقْلَ الشَّيْبِ عنكَ مَفَارِقِي

وإنْ فَلَّ مِنْ غَرْبِي وَغَضَّ عَنَانِي

عَلَىٰ أنّه ما ٱنْفَلَّ مَنْ كانَ دُوْنَهُ

حَمِيْمٌ يُرامِي عَن يدٍ وَلِسَانِ

وعندما توفي **الصابي** بكاه صديقُه بمَرَاثٍ هي نفحاتُ وفاءٍ ولواعجُ أحزانٍ[٦١]:

أرأيتَ مَنْ حُمِلُوا عَلَىٰ الأَعْوَادِ

أرأيتَ كيفَ خبا ضِياءُ الوَادِي

مَا كُنْتُ أعلمُ قَبْلَ وَضْعِكَ في الثَّرَىٰ

أَنَّ الثَّرَىٰ يَعْلُوْ عَلَىٰ الأَطْوَادِ

وقوله[٦٢]:

أَقُوْلُ لِرَكْبٍ رَائِحِيْنَ تَعَرَّجُوْا
أُريكم بِهِ فَرْعاً مِنَ المَجْدِ ثاوِيا
رَثَيْتُكَ كَيْ أَسْلُوكَ فازددتُ لَوْعَةً
كأنَّ المَرَاثِي لا تُجِدُّ المَرَازِيَا
وَأَعْلَمُ أنْ لَيْسَ البُكَاءَ بِنَافِعٍ
عليكَ ولكنِّي أُسَلِّي الأَمَانِيَا

لقد جاء إيرادُ هذه النصوص لما تصوّرُه من دلالة لا تنحصر على تصوير العلاقة بين فردين، ولكنّ لدلالتها على شعورِ المسلمين تجاه سواهم، فما كان **الشريفُ الرضي** وهو مَنْ هُوَ في مكانته الدينية والاجتماعية وتربُّعِهِ على سُدَّة نقابة **الطالبيين** ليجهرَ بما في نفسه هذا الجهرَ لو كان ذلك مما يحاربُه مجتمعهُ أو يأباه.

علاقة المسلمين بسواهم في الأندلس:

الشعوبُ التي امتدّ إليها الإسلامُ في الشرق الإسلامي أقبلت عليه باقتناعٍ، ودافعت عنه

بحماس، وكان لها نصيبٌ وافرٌ من المشاركةِ في الحضارةِ الإسلامية، إلا أنّ ذلك لم يمنعْ من استبقاءِ بعض الأجناس على شيءٍ من الشعور بأصولها العرقية والثقافية، وأحياناً الشعورُ بالتفوق العرقي على الجنس العربي، فيما عُرف في الشرق الإسلامي **بالشعوبية**، ولم يكن هذا الشعورُ شيئاً يضطر أصحابه إلى إخفائه أو التستُّر عليه، بل كان مجالاً للإعلان والمجادلة، ولم تمنع شعوبيةُ كثيرٍ من الشعراء، مثل **أبي نواس وبشار بن برد** من أن يحتلوا مكانةً بارزةً في التاريخ الأدبي.

وقد كان لهذا التوجُّهِ أعلامُه ودعاتُه، وكان لهم من الرادين عليهم من العرب نظراءُ، ولكنّ الحال في الأندلس اختلفَ عن ذلك اختلافاً بيّناً، فعندما دخلَ المسلمون الأندلسَ انتشر زواجُهم من أهل البلاد التي دخلوها، ولم يمضِ على دخولهم أكثر من قرن، حتى نشأت أجيالٌ عرفت باسم

المُولّدين، امتزجوا بالوافدين، بحيثُ صار من الصعب التفريق بين العرب الخُلّص وبين أولئك **المولدين**[٦٣].

وإلى جانب أولئك المولدين وُجد ما عُرف باسم **المستعربين**، وهم من اصطبغوا بالثقافة العربية، ولم يدخلوا في الإسلام، وقد جهد **كولدزيهر** (Goldziher) في أن يجدَ أثراً للشعوبية التي وُجدتْ في الشرق بين **المولّدين**، أو حتّى بين **المستعربين** من الإسبان في الأندلس، فلم يجد لذلك أثراً[٦٤]، بل إنّ ممّا يستوقفُ النظر ذلك الإقبالُ المدهِشُ من أولئك **المستعربين** ـ فضلاً عن **المولدين** ـ على اللغة العربية والثقافة العربية بحيثُ صار ذلك أمراً مألوفاً لدى أهل البلاد الأصليين، لم يوجد من بينهم من يستغرب ذلك أو ينكره، إذا استثنينا الكتاباتِ القليلةَ التي كتبها بعضُ رجال الدين المسيحيين فجاءت هذه الكتابات وثائقَ دالةً على مدى

انتشار الإقبال على اللغة والثقافة العربيتين.

ومن هذه الوثائق الوثيقةُ التي نقلها **مونتوغمري** عن أحد الرهبان في أواسط القرن التاسع الميلادي وهو قوله: «شبابنا المسيحي بمظهرهم الأنيق معروفون بتلقّيهم من سواهم، إنهم مُنتشون بالبلاغةِ العربيةِ التي يجيدونها بنهمٍ ورغبةٍ، إنَّهم يناقشون بحماس كتب **المُحمديين** وبلاغتهم، جاعلين هذه الكتب معروفةً بإطرائهم لها، وجاهلين كلَّ شيء عن جمال التراث الكنسي الذي ينحدر من الفردوس، اللاتينيون لا يبدون اهتماماً يُذكر تجاه لغتهم إلى حد أنك لا تجدُ واحداً بين الألف من عامّةِ الناس يكتبُ في بيان رسالة يستفسر فيها عن صحة صديق له، في حين تجدُ عدداً لا يحصىٰ ممن يستطيع أن يستعيدَ بقدرةٍ العباراتِ المصنطعةَ في لغة **المُحمديين**، بل إنّهم يجيدون نظم الشعر أكثر من أهل اللغة أنفسهم...»(٦٥).

ومثل ذلك ما نقلته **مارية مينوكال** (Maria Menocal) عن **باول الفاروس** (Paul Alvarus) أحد أعلام المسيحيين في قرطبة في القرن التاسع نفسه؛ وهو قوله: «المسيحيون يعشقون قراءة الشعر والغزل العربي، إنّهم يدرسون المعتقدات والفلسفة العربية، لا ليدحضوها، ولكن لكي يتمكنوا من لغةٍ عربيةٍ أنيقةٍ، أينَ تجدُ اليومَ مَنْ يقرأُ الشروحَ اللاتينية على الكتابِ المقّدس أو يقرأ الأناجيلَ ونبوءات الرسُل، كلُّ الشباب المسيحي الموهوبِ يقرأُ بحماس الكتب العربية. . .»(٦٦).

هذه الظاهرةُ التي صارت مألوفةً، والتي أشار إليها النصّان السابقان تبدو غريبةً لأول وهلة، وعصية على التعليل ما لم نأخذْ بالتعليل الذي أشارت إليه **مينوكال**، وهو قولها: «إنّ مجالَ الثقافة العربية مرتبطٌ بالدين، ومنفصل عنه، فقد جاء المسلمون إلى إسبانية بشيءٍ قلَّ أن يُشار إليه؛ وهو اللغة التي تُعبّر بقدرةٍ وأناقةٍ عن كلّ

احتياجات الإنسانِ خارجَ المعتقد الديني، فاللغةُ التي احتضنها الإسبانُ ليست ما يُقال في الصلوات، ولكنّها اللغةُ التي مكّنت **عبد الرحمن الأول** (الداخل) من مناجاة نخلةٍ، شاكياً لها شعورَه العميق بغربتها وغربتِه...»[٦٧]، وهي بذلك تشيرُ إلى شعرٍ **لعبد الرحمٰن الداخل** ﵀ وهو ذلك الصقر الذي استطاعت جناحاه أن تقهر تطاول المسافات وأن تتغلب عزيمته على أكبر العوائق قال ذلك الشعر مناجياً واحدةً من شجر النخل التي نُقِلَ من الشام إلى الأندلس وهو قوله:

تبدّتْ لنا بَيْنَ الخَمَائِلِ نَخْلَةٌ
تناءتْ بِأَرْضِ الغَرْبِ عَنْ بَلَدِ النَّخْلِ
فَقُلْتُ شَبِيْهي في التَّغَرُّبِ والنَّوَىٰ
وطولُ ابتعادِي عَنْ بَنِيَّ وَعَن أَهْلِي
أَقَمْتِ بأرضٍ أنتِ فيها غَرِيْبَةٌ
فَمِثْلُكِ في الإقصاءِ والمُنْتَأَىٰ مِثْلِي

الشيءُ البالغ الأهمية في هذه الظاهرة هو الدلالةُ الواضحةُ على انتفاء وجود أي شعور بالمرارة أو النفور لدى أهل البلاد الأصليين وأولئك الوافدين عليهم، ودلالتها على ما ينافي ذلك، ولو وجد الإسبان من الوافدين عليهم ما يحملهم على النفور والمعاداة لانعكس ذلك نفوراً ومعاداة للغة أولئك الوافدين وثقافتهم.

وقد ذكر الأمير **شكيب أرسلان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه النفيس (**الحلل السندسية**): أنّ التخاطب والوثائق، ومنها صكوكُ المبايعات وتوثيقُ العقود بين أهل مدينة **طُليطلة** كانت تُكتبُ باللغة العربية إلى ما بعد أكثر من قرنٍ لاستعادة الإسبان لها، ونقل في كتابه عشرات النصوص من تلك الوثائق (راجع الملحق رقم ٣)...

من الأمور ذاتِ الدلالة على هذا الجانب تخيُّر كثير من المسلمين ومن ذوي المكانة منهم

للأديرة مكاناً لصفوهم ومجالسِ أُنسهم، فوَصفُ هذه الأماكن، وأُنسهم بها مما تزدحم به كتبُ الأدب في الشرق والغرب.

ولعلَّ من المفيد والممتع معاً إيرادَ صورةٍ رسمها أحدُ أعلام الأندلس لوحة تُمثِّل نموذجاً من ذلك، وهو الوزير **لسان الدين بن الخطيب** ـ غفر الله له ـ ذلك العَلم الذي كانت الترجمةُ له الباعثَ **للمقّري** رحمه الله إلى وضع دُرَّتَه اليتيمة **(نفح الطيب)**، وقد رسمَ الوزيرُ هذه الصورة واصفاً إحدى رحلاتهم لهذه الأديرة، وما يجدونه بها من بواعث السرور، فجاء شعره في ذلك لوحةً ترسم مشهداً يزخر بما فيه من حركة وظلال وألوان، وموضع الحاجة منها قوله:

وحانةِ خمّارٍ دعانا لقصدِهَا
شَمِيْمُ الحُمَيّا واصْطِكَاكُ النَوَاقِيْسِ
أطلَّ علينا حَبْرُهَا مِنْ جِدَارِهِ
يُهَيْمِنُ في جُنْحِ الظَّلامِ بِتَقْدِيسِ

بَدَرْنَا وَقُلْنَا إِذْ نَزَلْنَا بِسَاحِهِ
عَنِ الصَّافناتِ الجُرْدِ والضُمَّرِ العِيْسِ

أَيَا عابِدَ الناسُوْتِ إنَّا صبابةٌ
أتينا لِتَثْلِيْثِ بلى وللتَّسْدِيْسِ

فَأَنْزَلنا فَوْراً على جَنبَاتِهَا
مَحَارِيْبَ شتّى لاخْتِلافِ النَّوَامِيْسِ

وَبَادَلَنَا فيها نَضاراً بِمِثْلِهِ
كأنَّا مَلأْنَا الكَأْسَ فِيْها مِنَ الكِيْسِ

ودارُ العَذَارَىٰ بالمُدَامِ كأنَّهَا
مَهاً تتهادَىٰ في رِيَاشِ الطواويسِ

وَقُمْنَا نَشَاوَىٰ بَعْدَ أَنْ مَتَّع الضُّحَىٰ
كما نَهَضَتْ شُوْسُ الأُسُوْدِ مِنَ الخِيْسِ

فَقَالَ: لبئسَ المُسْلِمُوْنَ ضُيُوْفنا
أَمَا وَأَبِيْكَ الحَبْرِ ما نحنُ بالبِيْسِ

وَهَلْ في بَنِي مَثْوَاكَ إلّا مُبَرِّزٌ
بِحَلْبَةِ شورى أَوْ بِحَلْقَةِ تَدْرِيْسِ

إذا سَلَّ عَسّالَ اليَرَاعَةِ فاتكاً
أسالَ نَجِيْعَ الحِبْرِ فَوْقَ القَرَاطِيْسِ

لقد جاء إيرادُ هذا النصّ على طولِه لما فيه من دلالةٍ لا تخفى على مدى ارتياح قاصدي هذه الأديرة إلى أهلها واطمئنانهم إليهم، وما تحمله هذه القصيدةُ من روح السماحة والمرح، التي تربط بين قاصدي الدير وأصحابه.

حال المسلمين مع اليهود في الأندلس:

لم يكن اليهودُ في حالٍ مريحة لهم من حيثُ التمتع بالحريات الثلاث: الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية تحتَ حكم الرومان أو أمراء القوط، على أنّ هذا الحال تغيّرَ تغيراً كاملاً بدخول المسلمين إلى الأندلس، فقد تمتَّع اليهود بكلّ الحريات، لأنهم في نظر المسلمين من أهل الكتاب، ونالت أسرٌ كثيرة منهم قدراً كبيراً من الثراء، وتولّوا كثيراً من المناصب، ونال أفرادٌ

منهم حظاً عالياً من الثقافة العربية والإسلامية إلى جانب محافظتهم على موروثهم الديني والتاريخي.

عندما أعلن **عبد الرحمن الناصر** (الثالث) خلافته من المسجد الجامع في يوم جمعة من عام (٩٢٩م) - بعد ضعف مكانة الخلافة في بغداد - كان شابٌّ من الأسر الغنية في الرابعة عشرة من عمره ذو موهبة وقدرات، قُدِّرَ له أن يكون ذا مكان مرموق في بلاط الخليفة وبين طائفته من اليهود، لقد أقبلَ على التعلم، وبرز في اللغة والثقافة العربية، كما استطاع أن يكون من الأعلام في ديانةِ طائفته وتاريخها، ذلك الشاب هو **حُسديا بن إسحاق بن عزرا**، لم تمنع **حُسديا** ديانته من الترقي في بلاط **عبد الرحمٰن الناصر** فقد كان لديه في مكانة وزير، وقد رأسَ وفداً يمثل الخليفة للتفاوض مع إمبراطور بيزنطة، كما نصّبه الخليفةُ رئيساً لطائفته، لم تمنعه مكانته في الدولة المسلمة

من أن يُكرِّسَ جهوداً كبيرة لرعاية ومساعدة اليهود المنتشرين في أنحاء العالم[٦٨].

وكما كان **حُسديا**، كان الراهب **ريس مندو** (Race Mundo) أحد رجال البلاط لدى **عبد الرحمن الناصر**، هذه الصورة تتكرر بنفس النسق، وتكاد تكون بكل التفاصيل في مكان آخر وزمان مختلف، وهي المكانة التي وصل إليها **صموئيل بن النغريلة** (Samuel The Nagid) الذي نزحت أسرته الغنية من **قرطبة** إلى **مالطة** ومن ثَمَّ إلى **غرناطة**، فكان ـ لما بلغه من مكانة عالية في الثقافة واللغة العربية ـ وزيراً لأميرها **ابن حَبُّوس**، وكما كان **ابن النغريلة** مبرزاً في الثقافة العربية فقد كان شعره حجر الزاوية ـ كما تقول **مينوكال** ـ لأهم جزء من شعر اليهود؛ وهو ما عرف بالعصر الذهبي، ولا يزال يُنظر إلى **ابن النغريلة** على أنّه من المؤسسين للشعر الحديث. وقد بلغ اليهودُ من الظهور والمكانة قدراً جعل غرناطة تُعرف في بعض

عصورها بغرناطة اليهود[٦٩].

٦ ـ التطرُّف في ماضي المسلمين وحاضرهم:

النصوص التي سبق إيرادُها مستمدةٌ من أوراق التاريخ، تدلُّ دلالة مقنعة على المساحة الواسعة من الروح الإنسانية والسماحة لدى المسلمين وفي تاريخهم المُبيِّن لتعاملهم مع سواهم، وفيما بينهم، على أنّه لا يجوز أن يُفهم من ذلك أنّ المقصودَ نفيُ وجود تطرُّفٍ لدى المسلمين في الماضي والحاضر، وهو تطرُّفٌ استتبع ما يحدِثه من تعصُّب وغُلوٍّ، كانا سبباً فيما أُريقَ من دماء؛ سواءٌ بين المسلمين وسواهم أو فيما بينهم، كما كانا السبب فيما نشأ بين المسلمين من خصوماتٍ، وجعل كثيراً منهم فِرَقاً وأحزاباً تتواجه فيما بينها بالكراهية والمجافاة إن لم يكن بالاقتتال والمعاداة، وذلك أمرٌ يشترك المسلمون فيه مع سواهم من الأمم والديانات

الأخرى، وقع ذلك في الماضي، وهو يقع في الحاضر أحداثاً معاشةً، ونزاعاتٍ مفرِّقة.

القرآن الكريم من جهة أنّه نصٌّ وَرِثَهُ الخلف عمن أنزل عليه ﷺ اختلفت أفهامُ القارئين له في تفسير بعض آياته، كما اختلفوا في وجوبِ تأويل هذه الآيات، أو وجوب الأخذِ بظاهر منطوقها، وكان ذلك سبباً للاختلافِ في فهم الحقيقي من بعض مقاصده.

كما وقع الاختلافُ في **الحديث النبوي الشريف**، بين أصحاب المدارس العقدية والفقهية بسبب الاختلاف فيما وصل منه إلى أي واحد من أصحاب هذه المدارس أو وصل إلى سواه، أو بسبب الاختلاف في ثبوته أو بسبب اتفاقه أو تعارضه مع القرآن الكريم أو ما عُرف من عمل النبي ﷺ، تباينت درجاتِ وحِدّة هذا الاختلاف سواءٌ في العقائد أو الأحكام الفقهية، وكان ذلك

منشأَ المذاهب والمدارس المختلفة في العقائد مما يتعلق بصفات الخالق أو مسائل العبادات والمعاملات، ولعلّ ذلك يُفسِّر الظاهرة التي تستوقف النظر في هذا المجال وهي أن التطرُّف في تاريخ المسلمين ـ وهو في أغلب حالاته ذو منشأ ديني ـ وما يُسفِرُ عنه من منازعة تصل أحياناً إلى حَدِّ المعاداة مُوْرِسَ داخل الدائرة أكثر مما مورس خارجها، أي أنّه حدث بين فِرَقِ المسلمين أكثرَ مما حدث منهم تجاه سواهم.

ولعلّ أول مظهر جسّدَ هذا الاختلاف في تاريخ المسلمين ظهورُ **الخارجين على عثمان بن عفان** رضي الله عنه، ثم ظهور **الخوارج** بين صفوف المؤيدين للإمام **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه المقاتلين معه.

ولأن التطرُّف ـ كما سبق ذكره ـ استعداد طبعي في الذات، فإن المتطرِّفَ لا يعدم أن يجد

من النصوص ما يراه مؤيداً لفهمه أو موقفه أو باعثاً على موقفه.

فالخوارجُ فارقوا **علياً**، وحاربوه، لأنّهم رأوا في قبوله دعوةَ فريقِ **معاوية** إلى التحكيم خروجاً على قول الله تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[٧٠]، ولم يكتفوا بقتل **عبد الله بن الخبّاب بن الأرتّ**، بل قاموا بقتل امرأته وجنينها، لأنّهم وجدوا في قول الله على لسان **نوح** حكاية عن قومه: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٧١] ما يدعوهم إلى ما قاموا بفعله، أو يجيز لهم هذا الفعل، **فالفهم العليل للنصوص وتأويلها هو وقودُ التطرُّف لدى بعض أفراد المسلمين وبعض طوائفهم**، وهو نفسُ السبب لدى أتباع المعتقدات الأخرى، وهو المؤسس للاقتناع بصحة وصواب ما يعتقد وما يقوم بفعله المتطرِّفون، فـ **عِمْرَانُ بنُ حطّان** كان مترجماً عن

هذه الحالة عندما يقول عن **عبد الرحمٰن بن ملجم** قاتل الإمام **علي** رضي الله عنه:

يا ضربةً مِنْ تقيٍّ ما أرادَ بها
إلّا ليبلغَ مِنْ ذي العَرْشِ رِضْوَانا
إنِّي لأذكرُهُ يوماً فأحسبُهُ
أَوْفَىٰ البريّةِ عندَ اللّهِ ميزانا

هذا التطرُّف في مناصبة الإمام **علي** رضي الله عنه، قابله **تطرُّفٌ آخر**، يغلو في موالاته لـ **علي** رضي الله عنه ولآل البيت، ورفع مكانتهم، غلواً تجاوزَ كثيراً من الحدود عند بعض الشيعة.

وهو **نفسُ العامل الذي حملَ المعتزلة** على موقفهم الشاذ من مخالفيهم، واستعداء السلطة عليهم، والتنكيل بهم، وهو سلوكُ بلغَ ذروته في محنة الإمام **أحمد** رحمه الله لحمله على القول بخلق القرآن.

وإذا كان التطرُّفُ في ماضي المسلمين حدث بسببِ إعمالِ عليلٍ أو فهمٍ كليلٍ، فإنَّ تطرُّف أفرادٍ من المسلمين في الوقت الحاضر ـ في أكثر حالاته ومظاهره ـ يأتي من تعطيل العقلِ والفهمِ معاً، والإقبال على المواقف المختلفة التي وقفها الماضون، وتبنيها والاحتجاج بها والتنازع حولها؛ حملة عليها أو انتصاراً لها، إنّه الاستنجادُ بخطأ الماضي، واستعادته لكي يسيطرَ على الحاضر ويُكيِّفُه(٧٢).

من ذلك يتبين أن التطرُّف وُجِدَ ويوجد عند المسلمين، كما وُجد ويُوجد عند سواهم، وليست الثقافةُ وحدَها صانعةً للتطرُّف، كما أنها ليست وحدها قادرةً على إماتةِ بذوره عند من يحملها.

والخطأ الجسيم الذي وقع ويقع فيه بعض الباحثين في الغرب، أو ذوو الهوى والمطامع منهم هو جعلهم من الحالاتِ الموقوفة على ظروفها

ومسبباتها مسوِّغاً لإفراد المسلمين بنظرة غير منصفة، وذريعة لإنكار ما انطوى عليه الإسلام وما احتشد به تاريخ المسلمين وحاضرهم من سماحة وحفاظٍ على حق الإنسان وكرامته، وما يحدث في الوقت الحاضر من بعض أفراد المسلمين في البلاد الإسلامية وفي غيرها ليس إلا استعادةً لتلك الجذور من الماضي البعيد أظلت الأمة بِقِطَعٍ من ليلٍ بهيمٍ.



الباب الثالث

المعالجة

- توطئة.

١ ـ هل في هذا البحث من جديد؟

٢ ـ هل هناك من مخرج؟

٣ ـ عوامل العنف الناتج عن التطرُّف.

ـ اقتناع عقل.

ـ انفعال عاطفة.



المعـــالجة

• توطئة:

مع أنّ التطرُّفَ وما يثمره أو يفرزه من عنف هو خبزٌ عالمي وُجد ويوجد في كل الشعوب والمجتمعات، وأن البحث والمعالجة له يجب أن يكونا ممتدين ومتسعين بقدر امتداده وتعدده، وأن يكونا شاملين له في مواقعه ومنابعه، فإنّ المعالجة هنا ستقتصر على التطرُّف الذي أثمر عُنفاً وعنفاً مضاداً في أكثر بلاد العرب والمسلمين، أو المأهولة بجماعات أو أفراد منهم، وذلك لسببين:

الأول: أن معالجة هذه الحالة في جميع مواقعها تستدعي مساحة من البحث لا يتسعُ لها نطاقُ هذه الدراسة.

الثاني: أنَّ الحاجةَ إلى معالجة هذا الأمر عند المسلمين أوجب، وإلحاحها أشد، وذلك لما عرّض المسلمين له من ويلات، ولما تعرضوا بسببه من تجنٍّ من الآخرين، **فأخِذَ الكثرةُ بخطأ القلة، وعُمِّمَ شططُ المشتطِّ - وهو عددٌ قليلٌ - على إحسانِ المعتدلِ والبريءِ، بل والمنكِرِ والمقاوِم، وهم العددُ الأكبرُ والأكثرُ.**

وهكذا قوبل العنف الذي حدث - وقد يحدث - من قلةٍ من الأفرادِ إلى عنفٍ وتسويغٍ للعنف، ومظالمَ وتشريعٍ لهذه المظالمِ لدى دول وحكومات.

وهذا الموقفُ حملةٌ تولّت رفعَ لوائها، والدعوةَ إليها، وحشدَ الناس لها مَنْ كانت يُنظَرُ إليها على أنَّها أوسعُ وأقوى قلعةٍ لحرية الإنسان وتأصيلِ كرامتِهِ وحمايةِ حقوقه وسلامته وهي الولايات المتحدة الأمريكية.

الثالث: أن أسباب التطرُّف ودواعيه عند

المسلمين وإن اتّفقت في مظهرها وبعض آثارها مع ما يُوْجَدُ في الشعوب الأخرى، إلا أنها تختلف في جذورها ودواعيها.

١ ـ هل في هذا البحث من جديد؟:

لا يجد الباحث أدنى صعوبة في كفِّ نفسه عن الانزلاق في دعوى أنّ البحث كَشَفَ جَدِيداً لم يُكشَفْ، أو عَرَّفَ بمجهولٍ لم يُعْرَفْ، ولكنْ يمكِنُه القولُ: إنَّ البحثَ ـ بما انطوى عليه من شواهد استُمدّت من وثائق مثيرة ووقائع شُوْهِدَتْ في أماكن كثيرة، وهي وثائقُ ووقائعُ قدّمها أو قام بها أجناسٌ مختلفة من البشر، وبدوافع مختلفة من العقائد والثقافات ـ جاء تأكيداً لحقائق يجب أن تتجدّدَ معرفتُها وتتأكد، هذه الحقائق هي:

الأولى: أن التطرُّف استعدادٌ ذاتي يتعلق بطبيعة الفرد لا بثقافته.

الثانية: أنّ وجودَ التطرُّفِ لدى حاملِه هو وجودٌ بالقوَّةِ لا وجودٌ بالفعل.

الثالثة: أَنْ ليس هناكَ ثقافةٌ مهما كانت طبيعتُها تخلقُ ـ ابتداءً ـ تطرُّفاً في ذاتٍ ليس في طبيعتِها الاستعدادُ له.

الرابعة: أنَّ وجودَ التطرُّفِ بالقوّة لدى مَنْ يحمِلُ بذرته، يمكِنُ أن يظهرَ ويقوى؛ أي أنْ يتحوَّلَ مِنْ وجودٍ بالقوّةِ إلى وجودٍ بالفعلِ بتأثيرِ عواملَ كثيرةٍ، أولها ما يتلقّاهُ الفردُ من ثقافةٍ في نشأته وتعليمه ومحيطه ومخالطته، وقد ينعدِمُ هذا الاستعدادُ أو يَضْمُرُ أو يتوارى تحت الظروف المغايرة لبقائه ونمائه من العوامل المذكورة.

٢ ـ هل هناك من مخرج؟:

التطرُّفُ وباءٌ عاناه البشرُ في ماضيهم ويعانونه في حاضرهم ـ وقد يعانونه في مستقبلهم ـ وهو

بما يلازمه من تعصُّب وكراهية من أشدّ الأسباب في إشعال الحروب وإثارة المنازعات والمعاداة وتوريث ذلك.

ومن المؤكد أنّ العالم سيكونُ أكثر أمناً وأقلَّ شقاءً لو حلّ **الاعتدال** محل **التطرُّف**، وحكمةُ العقلِ محلَّ الانفعال.

وإذا كان الإنسان قد قطع شوطاً كبيراً في معارج إنسانيته بما وصل إليه من معارف، وما كشفه من طبيعة المادة وقوانين الكون أوصلته إلى وسائل انتقالٍ، قصّرت المسافات بين أطراف هذا الكوكب، ووسائل اتصالٍ أزالت الحواجزَ بين أبعاده، فإنَّ ذلك صيَّر حركةَ هذا الوباء أسرعَ، وانتشارَهُ أوسعَ، كما أنَّ ما أنتجه البشر من وسائل فتكٍ وتدميرٍ لم تكن معروفةً في الماضي جعلت التطرُّفَ ـ بما يصاحبه من عُنف ـ أكبرَ خطراً وأشدَّ ضرراً.

ومن ناحية أخرى فإنّ التطرُّفَ بما يمثّلُ من أخطارِ مصادرةِ لِما حصّله الإنسانُ خلال تطوّره من وثائق إنسانيته، وهي وثائقُ تجلّت فيما أصّل من مفاهيم وما أقام من مؤسسات وظهر فيه من منظمات كلها شواهد دالّة على المسافة التي قطعها في هذا الطريق(*).

(*) يعتقد كثيرٌ من الناس أنَّ البشرية تنحدِرُ في جوانبها الإنسانية ولا ترتفع، وأنها تبتعد عن صفتها الأخلاقية أكثر ممّا تقترب منها، على أنَّ الواقع يُكذِّبُ ذلك ولا يُصدِّقُه، ومع أنَّ كثيراً من الشرور والأخطاء لا تزال قائمةً في هذا الكوكب، يقترفها ويسوّغها أفرادٌ أو جماعات، فإنّ منحنى تاريخ الإنسان يميلُ إلى الصعود لا إلى الانحدار، وميلُ هذا المنحنى موجِبٌ وليس سالباً، لقد كانت تسودُ العالم على مدى آلافٍ من السنين مفاهيمُ تصادِرُ إنسانية الإنسان، وتحطُّ من كرامته، إذ كانت العبوديةُ نظاماً سائداً، بل مسوَّغاً، جعله **أفلاطون** جزءاً من جمهوريته، ودافع عنه **أرسطو** في (سياسته)، وكانت غلبةُ شعبٍ على شعبٍ، أو السيطرة عليه واجتياحه أمراً لا يجد رفضاً عالمياً، ولم يُجلِّل البشر أحداً بمطارف المجد كما جلَّلوا أفراداً أسموهم (الفاتحين)، عُرِفَ ذلك من عهد الإسكندر المقدوني - بل قبلَ ذلك - إلى عهد **نابليون**.
المهانةُ التي يمثّلها اجتياحُ دولةٍ لدولةٍ، وتحويلُ الشعوبِ إلى غالبٍ قاهرٍ، ومغلوبٍ مقهورٍ، حجب أبصاراً نافذةً عن رؤية ما في ذلك من بشاعة ما يصنعه الإلفُ الطويل من إلجام لمشاعر الناس ومداركهم، لم يسلمْ من ذلك شاعِرُ العرب وحكيمُهم المتنبي، وقد جاء بعد **أفلاطون** =

أيُّ معالجةٍ ناجعةٍ للتطرُّفِ تستهدف استئصالَ جذوره، لا تقليم أظفاره، والقضاء على مسبباتِه، لا على مظاهره، لن تفلِحَ في القضاءِ عليه إذا قَصَرَتْ تعاملها مع هذا الحدث على بعضِ ظواهرِ النفس الإنسانية في مفرداتها، لا على طبيعة النفس في كليتها.

التاريخُ النفسيُّ للإنسان يشيرُ إلى أنَّ النفس

= وأرسطو بأكثر من ألف وثلاثمئة عام، إذ يقول:

ولا تَحْسَبَنَّ المَجْدَ زِقّاً وقَيْنَةً
فَمَا المَجْدُ إلّا السَّيْفُ والطَّعْنَةُ البِكْرُ
وَتَرْكُكَ في الدُّنيا دَوِيّاً كَأَنَّما
تَدَاوَلَ سَمْعَ المَرْءِ أَنْمُلُهُ العَشْرُ

لم يكن الشعورُ بإنسانيّةِ الإنسان من حيثُ هو ـ مهما اختلفَ جنسُه أو دينُه أو ثقافتُه ـ أمراً سائداً بين الناس، بحيثُ يخِفُّ شعبٌ أو دولةٌ لنجدةِ شعبٍ آخرَ أو إظهارِ الانتصارِ له عندما يتعرّضُ لأخطارٍ أو أضرارٍ من كوارثِ الطبيعةِ أو فعل البشر، ولم تكن دولةٌ في الماضي ترى نفسَها ملزَمةً أن تكفل لشعبها حقاً في التعليم أو الصحة أو العمل، وما إلى ذلك مما تتحقق به إنسانية الإنسان، ولم يعرف البشرُ في تاريخهم الطويل إلّا جزءاً قليلاً قليلاً مما عرفه المعاصرون من أسرار المادة وقوانين الكون. فكل ذلك ـ إذن ـ صعود بالإنسان إلى مستواه الأعلى وليس هبوطاً به إلى الأدنى، ورقي للإنسان عقلاً ووجداناً وليست انحطاطاً به.

الإنسانية ـ في أكثر أفرادِها ـ مزيجٌ من الخيرِ والشر والتقوى والفجور، على أنَّ المُحدِّقَ في هذا التاريخ يرى أنَّ احتمالاتِ الخير في الإنسان أكثرُ من احتمالات نقيضه، وأنّ المسافةَ بينه وبينَ الخير أقصرُ مما بينه وبين الفجور.

وقد عرف تاريخُ الإنسان نفوساً خلتْ من نوازع الشر، ولكن قلَّ أن عَرَفَ نفوساً خلت خلواً تاماً من كوامن الخير فيها، مهما جاء سلوكها مغايراً لذلك بسبب البيئة من النشأة والمخالطة والتعليم والتعاليم والعوامل الأخرى الضاغطة المشوهة للنفس المؤثرة في سلوكها، وقد دلّت المشاهداتُ والدراسات على أن النفوس التي تتجه إلى ما يُكره، مهما جاء ما تقوم به مخيفاً ومدمراً يمكن أن تتجه إلى عكس ذلك متى وجدت المعالجة الملائمة.

وفي كتابه الذي صدر عام (٢٠٠٠م) **(سجناء**

الكـراهـيـة) تـحـدّث **أورنـت بـيـك** (Aoront Beeck) حديثاً مستوفياً عن هذا المعنى[٧٣] والملاحظ أنّ كل فردٍ مهما ساء سلوكه وممارساته لا يخلو خلواً مطلقاً من صوتٍ داخلي يهتف به حتى وهو وهاد ارتكاساته أنْ حرِّك جناحيك ترتفع فوق الوهاد. هذا الصوتُ هو الذي ينبغي أن يكونَ المخاطَبُ في كل دعوة توجه إلى الإنسان وكل جهد يبذل للتعامل معه.

ألهم الله النفس فجورها وتقواها، ونهاها عن الشرّ والفجور، وأنذرها بالعقاب عليه إنْ هيَ فعلت، وهذا أمرٌ له دلالته، وهو أنَّ الكفّ عن الشر ليس أملاً متعذّرَ التحقيق، يلوحُ للترغيب والتشويق، ولكنّه محطة يمكن الوصول إليها ولو بعد طول مسير، والقولُ بغيرِ ذلكَ لا يخلو من أن يُنسب إلى الله تعليق خلقه بعبث أو تكليفهم بمستحيل[٧٤].

الأعمالُ العنيفةُ التي تقومُ بها الجماعات

المتطرّفةُ في أنحاء متفرقة من الأرض، والتي شهدنا أحداثها ولن يكونَ آخرُها ما حدث في قطارات الأنفاق بإسبانية في شهر مارس ـ آذار من عام (٢٠٠٤م) لا يجوزُ أن تُبعدَ من أسبابها.

ولا يُعفى من المسؤولية عنها أولئك الذين اختزلوا كلَّ وسائل المعالجة في مقابلة العنف بعنف مضاد، فلم يزيدوا على أن يسكبوا على النار زيتاً يزيدها اشتعالاً، إنهم لا يزيدون على أن يضعوا في مكانٍ من مجرى النهر حجراً أو يقيموا سداً، مع أن النهر سيحفر لمفيضه مجرًى آخر، فالعلاجُ الناجِعُ ليس تعويق مجرى النهر وإنما تجفيف منبعه. وذلك لا يتأتّى إلا بالمعالجة لأسباب التطرُّف المولِّد للعنف، لا معالجة تجلِّياته ومظهره.

٣ ـ عوامل العنف الناتج عن التطرُّف:

العنفُ الناتج عن التطرُّف لا يحدثه إلا عاملان: **الأول: اقتناع عقل؛ الثاني: انفعال عاطفة.**

أ ـ في معالجة العامل الأول (اقتناع عقل):

يجب التذكُّر أنّ تحويل فردٍ أو جماعةٍ عن معتقد أو اقتناعٍ أو إلفٍ إلى ما يعارِضُه، أو يختلِفُ عنه ليس من الأمور التي تتمُّ بين يوم وليلة، ولكنّه عمل يتطلّبُ وقتاً قد يكون طويلاً، ويحتاج إلى جهدٍ قد يكون شاقاً، والوصولُ إلى النجاح في ذلك ـ أي في الإقناع بالمفهوم المخالف ـ من ضروريات وسائله: التأنّي والحكمة وحسن المعاملة.

ومن هنا جاء توجيه الله تعالى لرسوله ﷺ بالدعوة لرسالته **بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.**

وممّا هو جديرٌ بالملاحظة ـ في هذا الجانب ـ أنّ الله سبحانه لم يأذن في تجاوز هذا القانون حتّى مع مَنْ سبقَ في علمه عدم استجابته للحوار والاقتناع، فقد وجّه **موسى وهارون** عليهما السلام في محاورة **فرعون** إلى أن يقولا له قولاً ليّناً مع سابقِ علمِهِ أنَّه لن يستجيبَ، والحكمةُ في ذلك تقريرُ قاعدةٍ لا معاملةُ فردٍ، وعلى ذلك يكون أولُ وسائل الخروج من هذه الدائرة المغلقة من العنف والعنف المضاد فتحَ أبوابِ المحاورة للوصول إلى عقل الفرد الذي هو موضع اقتناعه.

والعقل لا يرجعُ عن طريق اقتناعه بوساطة إكراهه أو إرهابه، وكما أنّ القلب لا يدخل في ولاية الفقيه؛ كما يقول **أبو حامد الغزالي**، فإنَّ العقلَ لا يخضع لعصا المؤدِّبِ.

فالتعامل مع العقل لن يجديَ إلا بمحاورته وإقناعه، والطريق إلى ذلك معرفة مصدر الاقتناع

الذي يسكنُ عقلَ المتطرّف، يحمله على ما يزاوله، وما يقدم عليه من أحداث، يُقْدم فيها **على جعل ذاته من بعض رمادِ حرائقه.**

كشفُ مصدرِ أو مصادرِ الاقتناعِ الحاملِ على ما مضى وما نشاهده في وقتنا الحاضر من تطرّف، وهي مصادر وُجدت في تراثنا الماضي وتوجد في ما تقذِفُ به المطابع في وقتنا الحاضر ممّا يسقي هذا التطرُّف وينمّيه، وفحص ذلك وتمحيصه، وإبراز ما فيه من خطأٍ لِيُهْجَرَ أو صوابٍ يجبُ التمسُّكُ به. **هو حجرُ الزاوية** في إزالة ذلك الاقتناع أو تصحيحه.

التطرُّفُ في العالم الإسلامي ـ في الغالب من حالاته وأحداثه ومظاهره ـ ذو منشأٍ ديني، والمتطرِّفُ ـ في أغلب حالاته ـ يستمدُّ صحةَ وشرعيةَ موقفه وتصرُّفه من فهمٍ غيرِ فهمه، وعقلٍ غير عقله، معتمداً على نصوص كتبَها غيرُه في

زمان غير زمانه وتأثراً بظروف غير ظروفه، وكُتِبتْ لعصر غير العصر الذي نعيش فيه، أو كتبها معاصرون يصدر أكثرهم عن تقليد واتباع لا يقعُ إلّا ممن استراح إلى قلّةِ علمٍ، أو اعتلالِ فهمٍ، أو جمع بينهما.

وفي ماضينا وحاضرنا ركام من النصوص ومئات من الكتب وأعداد كثيرة من الرجال يجوزُ عليهم الخطأ كما يجوز منهم الصواب، يجدُ المتطرِّفُ من عملهم دافعاً لعمله، ومن أقوالهم سنداً لسلوكه، ومن عقولهم حَجْراً على عقله، وكفّاً له عن الوصول إلى أي رأي مخالف لما وصلوا إليه أو فهم مفارق لما انتهوا عنده.

تراثُ المسلمين يزدحمُ بركامٍ هائلٍ من النصوص والاجتهادات والفتاوى والأحكام لأفراد اشتهروا في الماضي، وآخرين عُرفوا في الحاضر صارت أقوالهم حجةً واجتهادهم مُلزماً لاتِّباع، مع

ما في بعض هذه الأقوال والاجتهادات من قصورِ فهمٍ، أو خطأ اجتهادٍ، أو هوًى يفيض بالمعاداة لمخالفه، هذا الإرثُ المتداول في كلّ حالاته يحتاجُ إلى الغربلة والتمحيص.

ومع التسليم أو الافتراض بسلامة دوافع ونوايا من أصّلوا ذلك في الماضي والحاضر فإنّه ينبغي أن يكونَ مما يُقرر ويُعرف أن أولئك الأفراد بشر يخطئون ويصيبون، وإنّهم كتبوا ما كتبوه وقرروا ما قرّروه تحتَ تأثر ونداء زمانهم وظروفهم، أو العوامل التي تحيط بهم في حاضرهم، ولا يمكنُ القطعُ بأنْ ليسَ لأحدٍ منهم هوًى مسيطر، أو مصلحة ذات.

لذلك يجبُ أن يُجلّى بوضوح أنَّ **الغلوَّ** الذي يضفي هالةً تشبِهُ القداسةَ على أولئك النفر، تجعل أقوالَهم إلجاماً لكل فهم مفارق، وآراءهم تجريماً أو تحريماً لكل رأيٍ غيرِ موافقٍ، هو جنايةٌ على العقل والدين معاً.

ب ـ وفي معالجة العامل الثاني (انفعال عاطفة):

يجبُ إعطاءُ مساحةٍ كافيةٍ من الإدراك لحقيقةِ أنَّ الريحَ الباعثةَ على إشعال شرارةِ الانفعال لا تهبُّ إلا من ناحيتين، هما ناحيتا **الفقر والقهر**، وقد تصيرُ هذه الريحُ إعصاراً مثيراً لمشاعر التوتر والغضب، وأحياناً الاشتعال، إذا التقى الأمران على فرد أو مجتمع، والفرد أو المجتمع المشحون بهذه المشاعر لن يكونَ من وسائله التحليلُ والتعليلُ، ومن ثَمَّ الموازنة والاعتدال.

ومن تكليف الأشياء ضد طباعها أن يُنتظرَ ممن يقع تحت مهانة **الفقر** وسياط القهر تصرُّفٌ يتسمُ بالحكمة والاتِّزان، وقد قُدِّر لأغلبِ الأنظمة المتحكمة في بلاد المسلمين أن تنجح نجاحاً مُذهلاً في أن تجمع على شعوبها هذين البلاءين.

أغلب مواطني الشعوب المسلمة ـ ومنها العربية ـ يعيشُ تحت خط الفقر، والأُميّةُ تشكّل

نسبةً كبيرةً من سكانها، والبطالة فيها من أعلى المعدلات بين شعوب الأرض، والعلاجُ الذي تكفله الدولة ـ إنْ وجدَ ـ مع تدنّي مستواه ووسائله لا يشملُ من الناس إلا أقلهم، يحدثُ ذلك مع غنى الأرض، وسماحة السماء، وتعدُّد الموارد، التي يمكنُ أن تكونَ مصدرَ ثروةٍ لا يوجدُ مثلها إلا في قليل من بلاد العالم، لو أُحْسِنَ استثمارُ هذه الموارد.

ومع كلّ ذلك فإنّ هذه الشعوب تبيتُ وتصبحُ على كوارث، لا تتوقف، تحلّ بإخوة لهم في الدين، وذوي قرابة في النسب، وشركاء في الثقافة والتاريخ، تُسلب أرضهم، ويُقتل رجالُهم، وتُهدم عليهم منازلهم، وتُرمَّلُ نساؤهم، ويُيتَّمُ أطفالهم، **أوجعُ ذلك وأشدُّه وأطولُه ما وقع ويقع في فلسطين**، ولا يجدُ مواطنو هذه الشعوب حكومةً من حكوماتهم أو دولةً من دولهم تنهضُ لاستردادِ

أرضٍ، أو حمايةِ عرضٍ، أو حقنِ دماءٍ تسيلُ، ولم يخِفَّ أحدٌ لنصرةِ مظلومٍ أو إغاثةِ مستغيثٍ، مع كثرةِ العدد، وتعدُّد الدول، واختلاف الأجناس، وفي هذه الظروفُ التي تثير كلَّ كوامن الغضب والانفعال لدى الأفراد والجماعات نجدُ كلَّ معارضة لهذا الواقع أو إنكار له أو احتجاج عليه أو دعوة مسالمة لإصلاحه توصَفُ بتفريق الأمة، وإثارة الفتنة، والتآمر على النظام، فلا يُقدَّمُ من صفوف الاستجابة لمُعارض أو محتج إلا القمعُ والمطاردةُ والتنكيلُ، وسياط بطش يغيبُ بها نهارُ أولئك المحتجِّين أو المعارضين في ظلام السجون، وتُطير كراهم مفازعُ الليل(٧٥).

على أنّه لا يجوزُ أن يُفهم مما تقدم ـ بأي حال من الأحوال ـ تسويغٌ لما تقوم به جماعاتٌ وأفرادٌ من إرهاب، ولكنّه تحليل لما يحدث وتفسير لدوافعه.

ما يحدثُ اليوم في مواقع كثيرة من الأرض ومن فئات مختلفة من البشر جاء - في أغلب حالاته وبواعثه - ردَّ فعل على أوضاع مثيرة، فصار في كثير من صوره وممارساته إرهاباً لآمنٍ، وترويعاً لمسالمٍ، وعدواناً على بريءٍ.

على أنّ العنفَ المضاد وحدَه ليس العلاجَ الناجعَ الذي يقطع هذه الأخطار، ولا أدلَّ على ذلك من الإخفاق الذي واجهته وتواجهه حكوماتٌ كثيرةٌ قَصُرَتْ معالجتَها ومواجهتها للعنف على مثله.

والولايات المتحدّة الأمريكية التي تنفرِدُ بين الدول بما لديها من جوانب القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية والتقنية والتجسسية لم تستطع أن تقضي على العنفِ الذي انتدبت نفسَها لمحاربته، مستخدمة في ذلك وسائل مشروعة وغير مشروعة، ومستنجدة بالعالم من حولها ليكونَ لها

ظهيراً ونصيراً، لم تفلح على مدى أعوام إلا في توسيع دائرة العنف لتوسيعها لدائرة الغضب عليها والكراهية لإجراءاتها.

لقد اتسعت دائرةُ العنف، وتعدَّدت مواقفه وأهدافه، وإذا كان مما يمكن قوله: إنها ـ **الولايات المتحدة الأمريكية** ـ بما اتخذته من وسائل قد حمت نفسها من ضربات جديدة، فإنّ ذلك لم يكن مغنياً لها عن إبقاء كل قواها في حالة استنفار وعدم استقرار، وإنفاق ورصد عشرات الآلاف من الملايين بحثاً عن الحماية، كما لم يَقِها ذلك عن وضعِ شعبها في استنفارٍ وقلقٍ ملازمٍ، بسبب ما تعلنه حكومتها من إنذارات، تتكرر عن احتمال وقوع حادثةٍ، أو إقبال كارثةٍ، يسببها إرهابٌ جديدٌ.

الذين يختزلون المعالجةَ على مقاومة العنف بمثله يركنون إلى الثقة بقدرتهم على القضاء عليه

بهذه الوسيلة، وذلك أمرٌ مرجَّحُ الحدوث بسبب عدم التكافؤ بين ما تملكه الدول والحكومات من أجهزة ووسائل دفاع ومهاجمة، وقلة أو ضعف ما لدى أفراد أو جماعات العنف من هذه الوسائل، ومن الناحية الأخرى فإنّ الأحداث العنيفة التي يقترفها أولئك الأفراد يذهبُ ضحيتها أعدادٌ من الأبرياء، وترويعُ جماعاتٍ من الآمنين ومع كل ذلك فإن مزاولي العنف يقدمون عليه ويقتحمون مخاطره ودافعهم إلى ذلك أمران:

الأول: واقع مريرٌ طال شقاؤهم به يُقض مضاجعهم ويُطير كراهم.

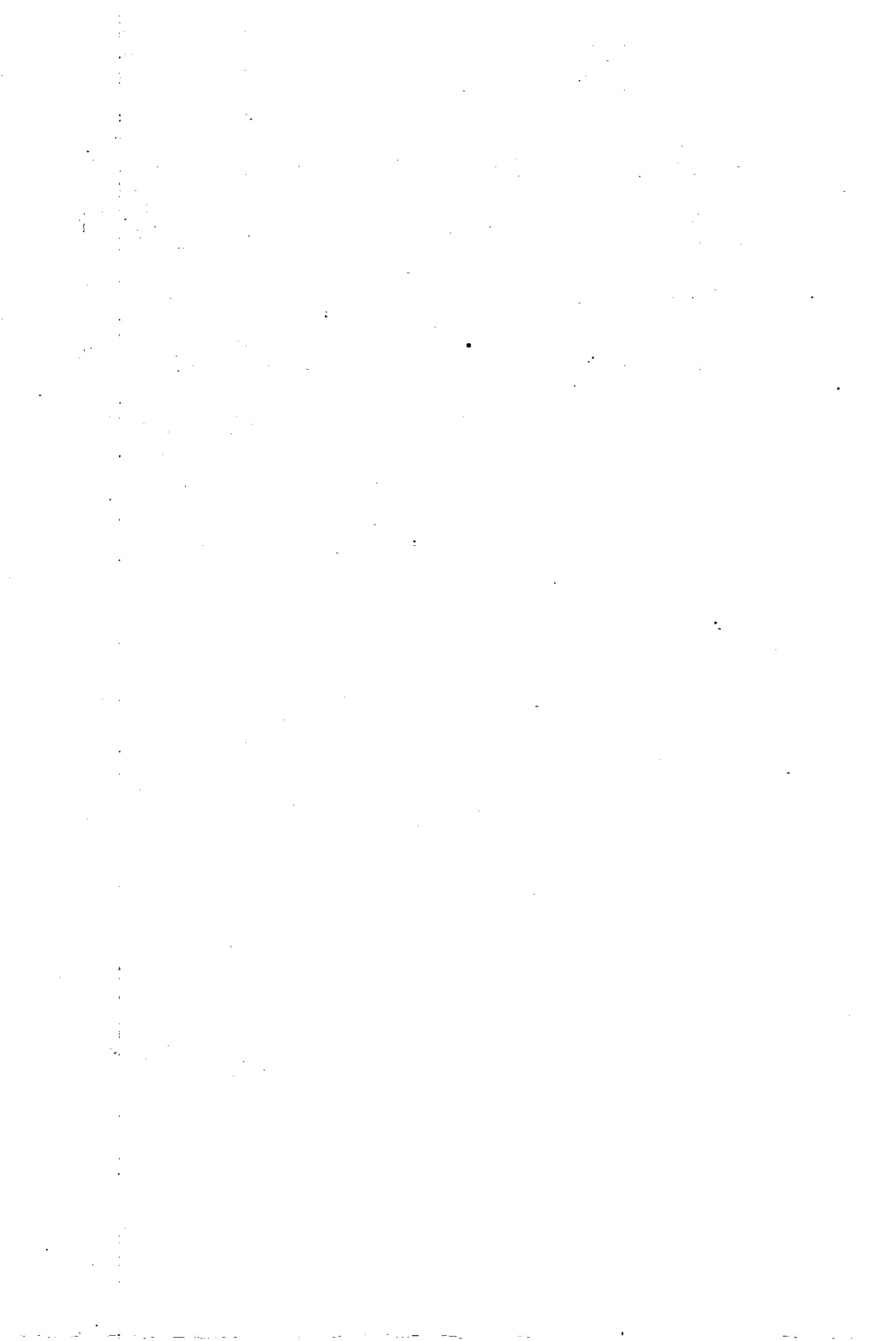
التالي: يأسٌ من الأمن على حياة، فلا يجدون أمامهم إلّا خيارين: **الموت استسلاماً ومصابرة، أو اقتحاماً ومكابرة.**

ولكن إذا كان من المؤكد تغلبُ أجهزة الحكومات والدول في المواجهة المباشرة، فإنّ

ذلك لا ينهي المشكلةَ، لأنّه لا يزيدُ عن قطع فروع الشجرة البارزة فوق الأرض، وهي فروعٌ ستعودُ إلى النمو، وربما الإيراق طالما جذور الشجرة باقية، بمعنى أنّه قد يأتي بعدهم من يقتنع بمثل اقتناعهم، وينفعل مثل انفعالهم، ما بقيت هذه المنابع من المصادر والمنابر تعملُ عملها، وتكرّرُ قولها ساقيةً هذه الجذور، وما بقي سوطا الفقر والقهر يثيران الغضب ويقدمان أسبابه.

الفقر والقهر هما النبعان اللذان يرويان شجرة التطرُّف، وما يؤدي إليه من إرهاب ـ كما سبق قوله ـ، فإنه مما يأتي في أعلى درجات الوثوق أنّ هذين العاملين هما أقوى عوامل نماء العنف وبقائه، وما لم تُبذل جهودٌ فعّالة وصادقة لإقرار العدل ومحاورة العقل ورفع **القهر** والقضاء على **الفقر** أو تقليل حِدَّته، فستبقى كل المزاولات الحاضرة لا تزيد عن كونها مُقارعة أسِنة وتساقط

ضحايا وإسالة دماء، وذلك من نواميس طبيعة الأشياء التي تنص على أن «لكل فعل ردٌّ فعل مساوٍ له في القدر ومضادٍ في الاتجاه» وسيبقى أملَ العالم في فجر جديد سراباً لا ينبِتُ مرعًى، ولا يروي ظامئاً.



الملاحق

١" ـ الملحق الأول: بهذا يؤمن مغتصبوا فلسطين.

٢" ـ الملحق الثاني: رسالة الهاشمي إلى الكندي يدعوه إلى الإسلام.

٣" ـ الملحق الثالث: أمثلة من صكوك التمليك في طليطلة في العهد الإسباني المكتوبة بالعربية.

الملحق الأول

بهذا يؤمن مغتصبوا فلسطين

.. نصوص من أسفار العهد القديم[٧٦]

المصطلحات:

أ ـ الحروف:

تث = سفر التثنية.

تك = سفر التكوين.

عدد = سفر العدد.

يش = سفر يشوع.

صم = سفر صمويل الأول.

قضاة = سفر القضاة.

ب ـ الأرقام:

الرقم الأول: يعني الجزء أو الفصل (الإصحاح).

الأرقام المتتالية: أرقام للفقرات.

تك ٣٤[٧٧]: /٢٠/ فأتى حمور وشكيم ابنُه إلى باب مدينتهما، وكَلّما أهل مدينتهما قائلين /٢١/ : هؤلاء القوم مسالمون لنا، فليسكنوا في الأرض، ويتجروا فيها، وهو ذا الأرض واسعة الطرفين أمامهم، نأخذُ لنا بناتهم زوجاتٍ ونعطيهم بناتنا /٢٢/ غير أنّه بهذا فقط يواتينا القوم على السكن معنا لنصير شعباً واحداً، بِخَتْنِنَا كلَّ ذكرٍ كما هم مختونون /٢٣/ ألا تكون مواشيهم ومقتناهم وكل بهائمهم لنا /٢٤/ فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع الخارجين من باب المدينة واختتن كل ذكر /٢٥/ فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أنّ ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذ كلٌّ واحد سيفه، وأتيا على المدينة بأمنٍ، وقتلا كلَّ ذكر /٢٦/ وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف، وأخذا دينة من بيت

شكيم، وخرجا /٢٧/، ثم أتى بنو يعقوب على القتلى، ونهبوا المدينة /٢٨/ غنمَهم وبقرَهم وحميرَهم وكلَّ ما في المدينة وما في الحقل أخذوه /٢٩/ وسبوا ونهبوا كلَّ ثروتهم وكلَّ أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت.

عدد ٣١: /٧/ فتجندوا على مديان كما أمر الربُّ، وقتلوا كلَّ ذكر /٨/ وملوك مديان قتلوهم أوي وراقم وصور وحور ورابع، خمسةَ ملوكٍ مديان وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف /٩/ وسبى نور إسرائيل نساء مديان وأطفالَهم، ونهبوا جميعَ بهائمهم وجميعَ مواشيهم وكلَّ أملاكهم /١٠/ وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميعَ حصونهم بالنار /١٥/ وقال لهم موسى: هل أبقيتم كلَّ أنثى حية /١٦/ إنّ هؤلاء كنّ لبني إسرائيل حسبَ كلام بلعام سبب خيانةٍ للربِّ في أمر فغور، فكان ألوبا في جماعة الرب /١٧/ فالآن اقتلوا كلَّ ذكر من الأطفال وكل امرأة.

تث ٧: /١/ متى أتى بك الربُّ إلهُك إلى الأرض التي أنتَ داخلٌ إليها لتمتلكها، وطرد شعوباً كثيرة من أمامك، الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبعَ شعوب أكثرَ وأعظمَ منك /٢/ ودفعهم الرب إلهك أمامك، وضربتهم فإنّكَ تحرمهم لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم.

تث ٢٠: /٤/ لأنّ الربَّ إلهكم سائرٌ معكم لكي يحاربَ عنكم أعداءكم /١٠/ حين تقربُ من مدينة لكي تحاربَها استدعها إلى الصلح /١١/ فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكلُّ الشعبِ الموجود فيها يكونُ لك للتسخير ويستعبد لك /١٢/ وإنْ لم تسالمك بل عملتْ معك حرباً فحاصرها /١٣/ وإذا دفعها الربُّ إلهك إلى يدكَ فاضربْ جميعَ ذكورها بحد السيف /١٤/ وأمّا النساءُ والأطفالُ والبهائمُ وكلُّ ما في المدينة

فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهك /١٥/ هكذا تفعلُ بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدنِ هؤلاءِ الأُمم هنا /١٦/ وأمّا مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الربُّ إلهك فلا تستبقِ منها نسمة.

تث ٢١ : /١٠/ إذا خرجتَ لمحاربةِ أعدائك ودفعَهم الربُّ إلهك إلى يدكَ، وسبيت منهم سبياً /١١/ ورأيتَ في السبي امرأةً جميلةَ الصورةِ، والتصقتَ بها واتخذتها زوجةً /١٢/ فحين تُدْخِلُها إلى بيتِكَ تحلق رأسها، وتقلّم أظفارها /١٣/ وانتزع ثيابَ سبيها عنها، وتقعد في بيتك، وتبكي أباها وأمها شهراً من الزمن، ثم بعد ذلك تدخلُ عليها، وتتزوّج بها /١٤/ وإن لم تسرّ بها، فأطلقها لنفسها.

يش ٦ : /١/ وكانت أريحا مغلقةً بسبب بني إسرائيل لا أحد يخرج ولا أحد يدخل /٢/ فقال

الرب ليشوع: انظر، قد دفعتُ بيدك أريحا وملكها جبابرة... /٢٠/ فهتف الشعبُ، وضربوا بالأبواق، فسقط السور في مكانه، وصعد الشعب إلى المدينة، وأخذوا المدينة /٢١/ وحرموا[٧٨] كلّ ما في المدينة من رجلٍ وآمرأةٍ وطفل وشيخٍ حتّى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف.

يش ١٠: /٨/ فقال الربُّ ليشوعَ: لا تَخفْهم لأنّي بيدك قد أسلمتهم، لا يقفُ رجلٌ منهم بوجهك /٩/ فأتى إليهم يشوعُ بغتةً، صعد الليل كلّه من الجلجال /١٠/ فأزعجهم الرب أمام إسرائيل، وضربهم ضربةً عظيمةً في جبعون /١١/ وبينما هم هاربون من أمامِ إسرائيل رماهم الربُّ بحجارةٍ عظيمةٍ من السماء فماتوا، والذين ماتوا بحجارةِ البردِ هم أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف /١٢/ حينئذٍ كلّمَ يشوعُ الربَّ يوم أرسل الرب الأموريين أمام بني إسرائيل... /١٤/ ولم

يكن مثل ذلك اليوم قبلَه ولا بعدَه سمع فيه الربُّ صوتَ إنسان، لأنَّ الربَّ حارب عن إسرائيل. . . /٤٠/ فضرب يشوعُ كلَّ أرضِ الجبل والجنوب والسهل وكل ملوكها لم يبق شارداً، بل حرّمَ كلَّ نسمة كما أمر الرب إلٰه إسرائيل /٤١/ فضربهم يشوع من قادش إلى غزّة وجميع أرض جوشن / ٤٢/ وأخذ يشوعُ جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعةً واحدةً، لأن الرب إله إسرائيل حارب عن إسرائيل.

يش ١١ : /١/ فلمّا سمع يابين ملكُ حاصور أرسل إلى يوباب ملك مادون وإلى ملك شمرون وإلى ملك أكشاف /٢/ وإلى الملوك الذين إلى الشمال في الجبل وفي السهل /٣/ الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين. . . . /٤/ فخرجوا هم وكل جيوشهم شعباً غفيراً كالرمل الذي على شاطئ البحر في

الكثرة بخيل ومركبات كثيرة جداً /٥/ فاجتمع هؤلاء الملوك وجاؤوا ونزلوا على مياه ميروم، لكي يحاربوا إسرائيل /٦/ فقال الرب ليشوع: لا تخفهم، لأنّي غداً في مثل هذا الوقت أدفعهم جميعاً قتلى أمام إسرائيل، فتعرقِبُ خيلَهم، وتحرق مركباتهم بالنار /٧/ فجاء يشوع وجميعُ رجال الحرب عند مياه ميرون بغتةً، وسقطوا عليهم /٨/ فدفعهم الرب بيد إسرائيل فضربوهم وطردوهم إلى صيدون العظيمة، حتى لم يبقَ لهم شارد /٩/ ففعل يشوع بهم كما قال له الرب، عرقبَ خيلهم، وأحرقَ مركباتهم بالنار.

صم ٤: /١/ وكان كلامُ صموئيل إلى جميع إسرائيل، وخرج إسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب ونزلوا عند حجر المعونة، وأما الفلسطينيون فنزلوا في أفيق /٢/ واصطف الفلسطينيونَ للقاء إسرائيل، واشتبكت الحربُ، فانكسر إسرائيل أمام

الفلسطينيين، وضربوا من الصف في الحقل نحو أربعة آلاف رجل /٣/ فجاء الشعبُ إلى المحلة، وقال شيوخ إسرائيل: لماذا كسرنا اليوم الرب أمام الفلسطينيين، لنأخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب فيدخل في وسطنا، ويخلّصنا من يد أعدائنا /٤/ فأرسل الشعب إلى شيلوه، وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم وكان هناك ابنا عالي حفني وفينحاس مع تابوت عهد الرب إلى المحلة أنّ جميع إسرائيل هتفوا هتافاً عظيماً حتى ارتجّت الأرض /٦/ فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف فقالوا: ما هو صوت هذا الهتاف العظيم في محلة العبرانيين؟ وعلموا أنّ تابوت الرب جاء إلى المحلة /٧/ فخاف الفلسطينيون لأنهم قالوا: قد جاء الله إلى المحلة، وقالوا: ويل لنا، لأنّه لم يكن مثل هذا منذ أمس ولا ما قبله /٨/ ويلٌ لنا من ينقذنا من يدِ هؤلاء

الآلهة القادرين، هؤلاء هم الآلهة الذين ضربوا مصرَ بجميع الضربات في البرية /٩/ تشدّدوا وكَوِّنوا رجالاً أيها الفلسطينيون لئلّا تُستعبدوا للعبرانيين كما استعبدوا هم لكم، فكونوا رجالاً وحاربوا /١٠/ فحارب الفلسطينيون، وانكسر إسرائيل، وهربوا كل واحد إلى خيمته، وكانت الضربةُ عظيمةً جداً، وسقط من بني إسرائيل ثلاثون ألف رجل /١١/ وأُخِذَ تابوتُ الله، ومات ابنا عالي حفني وفينحاس.

يش ٢٣: /١/ وكان غِب أيام كثيرة بعدما أراح الربُّ إسرائيل من أعدائهم حواليهم أنَّ يشوع شاخ، تقدم في الأيام /٢/ فدعا يشوع جميعَ إسرائيل وشيوخَه ورؤساءَه وقضاته وعُرَفاءَه، وقال لهم: أنا قَدْ شختُ، تقدَّمْتُ في الأيام /٣/ وأنتم قد رأيتم كلَّ ما عمل الرب إلهُكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم، لأنَّ الربَّ إلهكم هو المحارِبُ عنكم /٤/ انظروا،

قد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب (الباقين ملكاً) حسب أسباطكم من الأردن وجميع الشعوب التي قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس /٥/ والرب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم، ويطردهم من قدامكم، فتملكون أرضهم كما كلمكم الرب إلهكم / /٦ فتشددوا جداً لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب في سفر شريعة موسى، حتى لا تحيدوا عنها يميناً أو شمالاً /٧/ حتى لا تدخلوا إلى هؤلاء الشعوب أولئك الباقين معكم، ولا تذكروا اسم آلهتهم ولا تحلفوا بها /٨/ ولكن الصقوا بالرب إلهكم كما فعلتم إلى هذا اليوم /٩/ قد طرد الرب من أمامكم شعوباً عظيمة وقوية، وأمّا أنتم فلم يقف أحدٌ قُدّامكم إلى اليوم /١٠/ رجلٌ واحدٌ منكم يطردُ ألفاً، لأن الربَّ إلهكم هو المحارب عنكم كلما كلمكم، فاحتفظوا جدّاً لأنفُسِكم أن تحبّوا الربَّ إلهكم.



الملحق الثاني

رسالة الهاشمي إلى الكندي
يدعوه إلى الإسلام

فيما يلي نصُّ رسالة الهاشمي إلىٰ الكندي يدعوه بها إلى الإسلام:

بسم الله الرحمٰن الرحيم؛ أما بعدُ: فقد افتتحتُ كتابي إليك بالسلام عليك والرحمة تشبُّهاً بسيدي وسيد الأنبياء محمد رسول الله ﷺ، فإنَّ ثقاتنا ذوي العدالة عندنا، الصادقين الناطقين بالحق، الناقلين إلينا أخبار نبينا عليه السلام، قد رووا لنا عنه أن هذه كانت عادته، وأنّه كان ﷺ إذا افتتحَ كلامَه مع الناس يبادئهم بالسلام والرحمة في مخاطبته إياهم، ولا يُفرِّق بين الذمي منهم والأُمي، ولا بين المؤمن والمشرك، وكان يقول:

«**إنِّي بُعِثْتُ بحسن الخلق إلى الناس كافة، ولم أُبعث بالغلظة والفظاظة**»، ويستشهد الله على ذلك، إذ يقول: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٧٩]. وكذلك رأيتُ من حضرته من أئمتنا الخلفاء المهتدين الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، أنّهم كانوا لفضل أدبهم، وشرف حسبهم، ونبل همتهم، وكرم أخلاقهم، يتتبعون أثرَ نبيّهم ﷺ، ولا يفرّقون في ذلك، ولا يفضلون فيه أحداً، فسلكتُ ذلك المنهجَ، واحتذيتُ تلك السبل، وأخذتُ ذلك الأدب المحمود، فابتدأتك في كتابي هذا بالسلام والرحمة، لئلا ينكِرَ عليَّ منكِرٌ يقع إليه كتابي هذا.

«والذي حملني إليك وحثّني على ذلك، إذ كان سيدي ونبيِّي محمد ﷺ يقولُ: «**محبةُ القريبِ ديانةٌ وإيمانٌ**». على أنّي كتبتُ طاعةً لرسول الله ﷺ، ولمَا أوجبه لك عندنا حق خدمتك لنا ونصحك إيانا، ما أنت عليه من محبتنا، وتظهره من مودتنا،

والميل إلينا، وما أرى أيضاً من إكرام سيدي وابن عمي أمير المؤمنين أيّده الله لك، وتقريبه إياك، وثقته بك، وحسن قوله فيك. فرأيتُ أن أرضىٰ لك ما قد رضيتُه لنفسي وأهلي وولدي مخلصاً لك النصيحةَ ومبذلها، كاشفاً عما نحن عليه من ديانتنا هذه، التي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه، ووعدنا عليها حسنَ الثواب في المعاد، والأمنَ من العقاب في المآب... فرغبتُ لك فيما رغبتُ فيه لنفسي، وأشفقتُ عليك لما ظهر لي من كثرة أدبك وبارع علمك وحسن تهذبك، وجميل مذهبك، وشرف حسبك، وتقدُّمك على الكثير من أهل ملَّتك، أن تكونَ مُقيماً على ما أنتَ عليه من ديانتك هذه، فقلتُ: اكشف له عما مَنَّ الله به علينا، وأُعَرِّفُه ما نحنُ عليه بألين القول وأحسنه متبعاً في ذلك ما أذن الله به، إذ يأمرني ويقول جل ثناؤه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾(٨٠).

فلستُ أجادِلُك إلّا بالجميلِ من الكلام، والحسنِ من القولِ، واللّين من اللفظِ، لعلّك تنتهي وترجع إلى الحق، وترغبُ فيما أتلوه عليك من كلام الله جلّ جلاله، الذي أنزله على خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم، نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

ولم أيئس من ذلك، بل رجوتُه لك من الله الذي يهدي من يشاء، وسألته أن يجعلني سبباً في ذلك، ووجدتُ الله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٨١]، ويقول الله أيضاً مؤكداً لقوله الأول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٨٢]. ثم أكد ذلك أمراً قاطعاً إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٨٣]».

«وأنت الرَّجلُ (عافاك الله من جهل الكفر،

وفتح قلبك لنور الإيمان) تعلمُ أنّي رجلٌ أتت علي سنون كثيرة، وقد تبحّرت في عامة الأديان وامتحنتها، وقرأت كثيراً من كتب أهلها، وخاصّةً كتبكم معشر النصارى» (وهنا يعدِّدَ الأسفار الهامة من العهدين القديم والجديد ـ التوراة ـ وكيف درس الفِرَق النصرانية المختلفة). «ولقيتُ جماعةً من الرهبان المعروفين بشدّة الزهد وكثرةِ العلم، ودخلتُ عماراً وديارات وبيعاً كثيرة، وحضرتُ صلواتهم... ورأيتُ ذلك الاجتهاد العجيب، والركوع والسجود بإلصاق الخدود بالأرض، وضرب الجبهة، والتكيُّف إلى انقضاء صلواتهم خاصّةً في ليالي الآحاد وليالي الجمع وليالي الأعياد، التي يسهرون فيها منتصبي الأرجل بالتسبيح والتقديس والتهليل الليلَ كلَّه، ويصلون ذلك بالقيام نهارَهم أجمع، ويكثرون في صلواتهم ذكر الأب والابن والروح القدس، وأيام الاعتكاف

التي يسمّونها أيام البواعيث، وقيامَهم فيها حفاة على المسوح والرماد، باكينَ بكاءً كثيراً متوتراً بانهمال دموع من الأعين والجفون، منتحبين بشهيق عجيب.

ورأيتُ عملهم القربان، كيف يحفظونه بالنظافة في خبزهم إياه، ودعائهم عند عمله الدعاءَ الطويل، مع التضرُّع الشديد عند إصعاده على المذبح في البيت المعروف بيت المقدس، مع تلك الكؤوس المملوءة خمراً، ورأيتُ أيضاً ما يتدبر به الرهبان في قلاليهم أيام صياماتهم الستة، أعني الأربعة الكبار والاثنين الصغيرين وغير ذلك...

فهذا كلُّه كنتُ له حاضراً، ولأهله مشاهداً، وبه عارفاً عالماً، ورأيتُ أيضاً مطارنة وأساقفة مذكورين بِحُسن المعرفة وكثرة العلم، مشهورين بشدة الإغراق في الديانة النصرانية، مظهرين غاية الزهد في الدنيا، فناظرتهم مناظرة نصفة، طالباً

للحق، مسقطاً بيني وبينهم اللجاج والمراء والمكابرة بالسلطة، والصلف والبذخ بالحسب. وأوسعتُهم أمناً أن يقوموا بحجتهم، ويتكلّموا بجميع ما يريدونه، غير مؤاخذ لهم بذلك، ولا امتنعتُ عليهم في شيء، كمناظرة الرعاع والجهّال والسقّاط والعوام والسفهاء من أهل ديانتنا، الذين لا أصل لهم ينتهون إليه، ولا عقل فيهم يعوّلون عليه، ولا دين ولا أخلاق تحجبهم عن سوء الأدب، وإنّما كلامهم العنت والمكابرة والمطالبة بسلطان الدولة، بغير علم ولا حجة.

وكانوا إذا أنا ناظرتهم وسألتهم مسألة بحث عن عقولهم واعتقادهم وتخرجهم، يصدقونني عن أمرهم ولا يكذبون في شيء مما كنتُ أسائلهم عنه، وأجادلهم فيه، وكنتُ قد عرفت من بواطنهم مثل الذي قد عرفته من ظاهرهم. فكتبت إليك (أصلحك الله) بهذا الشرح، وعدوت ما عدوته بعد

الاستقصاء والبحث الشديد والامتحان له على طول الأيام، لئلا يظن بي أني غبي بالأمور، وليعلم من وقع إليه كتابي هذا أني عارف بجميع أحوال النصارى حق المعرفة».

«فأنا الآن (متع الله بك) أدعوك بهذه المعرفة كلِّها مني بدينك الذي أنتَ عليه وبطول المحبة إلى هذا الدين الذي ارتضاه الله لي وارتضيته لنفسي، ضامناً لك به الجنة ضماناً صحيحاً، والأمنَ من النار، وهو أن تعبد الله الواحدَ الأحدَ الفردَ الصمدَ، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يتخذ له صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد. . . وهي الصفةُ التي وصف نفسه جل وعزَّ بها، إذ كان ليس أحد من خلقه أعلم به من نفسه. فدعوته إلى عبادة الإله الواحد الذي هي صفته، ولم أزد في كتابي هذا على ما وصف به نفسه (جلّ اسمه، وتعالى ذكره، علواً كبيراً عما يشركون) فهذه ملة

أبيك إبراهيم صلوات الله عليه، فإنّه كان حنيفاً مسلماً».

«ثم أدعوك - حفظك الله - إلى الشهادة والإقرار بنبوة سيدي وسيد ولد آدم، وصفي ربِّ العالمين وخاتم الأنبياء محمد ﷺ... الذي أرسله الله بشيراً ونذيراً إلى الناس كافة ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(٨٤). فدعا الناس أجمعين، أهل الشرق والغرب، أهل البر والبحر، والجبل والسهل، بالرحمة والرأفة وطيب القول، وحسن الخلق واللين.

فاستجابَ هذا الخلقُ كلُّهم إلى دعوته بالشهادة له أنّه رسول الله ربّ العالمين إلى من يريدُ انتصاحاً، وأقرَّ الأنام كلهم طائعين مذعنين لما عرفوا من الحق والصدق من قوله وصحة أمره، وما جاء به من البرهان الصريح والدليل

الواضح، وهو هذا الكتاب المنزل عليه من عند الله، الذي لا يقدِرُ أحدٌ من الإنس والجن أن يأتيَ بمثله، وكفى به دليلاً على دعوته، وأنّه دعا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ فردٍ صمدٍ، فدخلوا في دينه، وصاروا تحت يده غيرَ مكرهين ولا مجبرين، بل خاضعين معترفين مستنيرين بنور هدايته، متطاولين باسمه على غيرهم ممن جحد نبوته، وأنكر رسالته، وردَّ أمرَه مقاوماً ومتعالياً، فمكّن الله لهم في البلاد، وأذلَّ لهم رقاب الأمم من العباد، إلّا من قال بقولهم، وتديَّن بدينهم، وشهد على شهادتهم، فحقن بذلك دمه وماله، وحرمته أن يؤدي الجزية عن يد وهو صاغر، (وهنا يعدِّدُ تعاليم الإسلام المختلفة، كالصلوات الخمس وصوم رمضان والجهاد، ويشرح عقيدة بعث الموتى، ويوم الدين، ويصف مناعم الفردوس وأهوال الجحيم)».

فأما نحنُ فقد ذكرناك، فإنْ أنتَ آمنتَ وقبلتَ ما يُتلى عليك من كتابِ اللهِ المنزّلِ انتفعتَ بما ذكرناك، وكتبنا به إليك، وإن أبيتَ إلا المقام على كفرك وعنادِك للحقّ، كنا نحن قد أُجِرْنا، إذ عملنا بما أُمِرْنا به، وكان الحقُّ هو المنتصف منك إن شاء الله.

(وهنا يعدد فروض الدين المختلفة ومزايا المسلم ويختم ذلك بقوله): «فقد تلوتُ عليك من قول الله تبارك وتعالى، وهو قول الحق، لا خُلْفَ لوعده، ولا تكذيبَ لقوله فيما سلف من كتابي هذا ما في أقله كفاية، فدع ما أنتَ عليه من الضلال والشقاوة والبلاء، وقولك بذلك التخليط الذي تعرفه ولا تنكره وهو قولكم بالأب والابن والروح القدس وعبادة الصليب التي تضرُّ ولا تنفع، فإنّي أربأُ بك عنه، وأجلُّ فيه علمك وشرف حسبك عن خساسة، فإنّي وجدتُ الله تبارك

وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾(٨٥)، وقال جلّ ذكره: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾(٨٦).

فدع ما أنتَ فيه من تلك الضلالة، وتلك الحمية الشديدة الطويلة المتعبة، وجُهد ذلك الصوم

الآزم الصعب والشقاء الدائم، والبلاء الطويل الذي أنت منغمس فيه، الذي لا ينفع ولا يجدي عليك إلا إتعابكَ بدنك وتعذيبك نفسك، وأقبل داخلاً في هذا الدين القيّم، السهل المنهج، الصحيح الاعتقاد، الحسن الشرائع، الواسع السبيل، ارتضاه الله لأوليائه من عباده، ودعا جميع خلقه إليه من بين الأديان كلها، تفضُّلاً منه عليهم به، وإحساناً إليهم بهدايته إياهم، ليتم بذلك نعماه عندهم».

«فقد نصحتُ لك يا هذا وأدّيتُ إليك حقَّ المودةِ وخالصَ المحبة، إذ أحببتُ أن أخلطك بنفسي، وأنْ أكونَ أنا وأنتَ على رأي واحد وديانة واحدة. فإنِّي سمعت ربي يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾(٨٧)، وقال الله في محكم كتابه في موضع آخر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٨٨).

وأشفقت عليك (أبقاك الله!) أن تكون من أهل النار، الذين هم شر البرية، ورجوتُ أن تكونَ بتوفيق الله إيّاك من المؤمنين، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وهم خير البرية، ورجوتُ أن تكون من هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس.

فإن أبيت إلا إلظاظاً ولجاجاً وجهلاً وتمادياً في كفرك، والذي أنتَ فيه، ورددت علينا قولنا، ولم تقبل ما بذلناه لك من نصيحتنا، حيث لم نرد منك على ذلك جزاءً ولا شكراً، فاكتب بما عندك من أمر دينك، والذي صحّ في يدك منه، وما

قامت به الحجةُ عندك مطمئناً، غير مقصّر في حجتك، ولا مكاتم لما أنت معتقده، ولا فَرِقٍ ولا وجلٍ، فليس عندي إلا الاستماع للحجة منك، والصبر والإقرار بما يلزمني منه طائعاً غير منكِر، ولا جاحد ولا هائب، حتى نقيسَ ما تأتينا به وتتلوه علينا، وتجمعه إلى ما في أيدينا، ثم نخبرك بعد ذلك. على أن تشرحَ لنا علّته، وتدعَ الاعتلال علينا بقولك: إنّ الفزعَ حجبَك وقطعَك عن بلوغِ الحُجّة، واحتجت أن تقبض لسانك، ولا تبسطه لنا ببيان الحجة، فقد أطلقناك وحجتك، لئلا تنسبنا إلى الكبرياء، وتدّعي علينا الجَوْرَ والحَيْفَ، فإنّ ذلك غيرُ شبيه بنا.

فاحتجّ عافاك الله بما شئتَ، وتكلم بما أحببتَ، وانبسط في كل ما تظنُّ أنّه يؤديك إلى وثيق حجتك، فإنَّك في أوسع الأمان، ولنا عليك أصلحك الله، إذ أطلقناك هذا الإطلاق، وبسطنا

لسانك هذا البسط، أن تجعل بيننا وبينك حَكَماً عادلاً لا يجورُ، ولا يحيفُ في حكمه وقضائه، ولا يميلُ إلى غيرِ الحق إذا ما تجنّبَ دولةَ الهوى، وهو العقلُ الذي يأخذ به الله ﷻ ويعطي، فإننا قد أنصفناك في القول، وأوسعناك في الأمان، ونحن راضون بما حكمَ به العقلُ لنا وعلينا إذ كان ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[٨٩]، وما دعوناك إلا طوعاً وترغيباً في ما عندنا، وعرفناك شناعةَ ما أنتَ عليه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[٩٠].



الملحق الثالث

أمثلة من صكوك التمليك في طليطلة في العهد الإسباني المكتوبة بالعربية

بقيت مدينةُ طليطلة تحت الحكم العربي الإسلامي منذ سنة (٧١٢م) إلى سنة (١٠٨٥م) (أي ما يقربُ من أربعةِ قرون) تشرَّب خلالها أهلُ البلاد الأصليون من الإسبان الثقافةَ العربيةَ واللغةَ العربية، حتّى صارت اللغةُ العربيّةُ لسانَ أكثرِ سكانها من الإسبان، وكانوا يقيمون صلواتهم وشعائرهم الدينية الكنسية باللغتين العربية والقوطية، وقد ظلت اللغة العربية لسانَ أكثر الإسبان بضعة قرون من خروج المسلمين منها، وكانت لغة مكاتباتهم وتوثيق بيوعهم وشرائهم، لم تندرسْ هذه اللغةُ إلا بالإلزام الصادر من الدولة بمعاقبةِ من

يتكلّم العربية أو يكتبُ بها، ومع ذلك فلم يتم اختفاءُ اللغة العربية إلا في أواخر القرن السادس عشر.

ونقل هنا بعض الأمثلة من صكوك التمليك، التي نقل بعضها الأمير **شكيب أرسلان** رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (**الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**)، ومن ذلك:

المثال الأول: «دفع الأرسيد ياقن المذكور جميعَ الذهب الموصوف كله للبائع المذكور، وقبضه منه، وصار في ملكه وذمته، وأنزله في جميع المبيع منزلة ذي المال في ماله، بعد أن عرف قدره ومبلغه، وعلى سنّة النصارى في بيوعهم وأشريتهم ومراجع إدراكهم». اهـ.

المثال الثاني: «اشترى عبيد بن أسد من خلف بن عبد الله جميعَ الكرم الذي له في أول منزل رزين. حَدُّه في القبلة نهر تاجة، وفي

الجنوب كرم يشت الحريري، وفي الشرق كرمٌ لأبي خالد، وفي الغرب عروشات السلطان (الأذفونش) أيده الله، بثمنٍ عِدّته ستون ديناراً من البريزات الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ، وفي شهر نوفمبر الكائن في سنة ثلاثين ومئة وألف من تاريخ الصفر».

المثال الثالث: «اشترى خير بن ركوي من يحيى بن عبد السلام جميعَ الدار التي له بحومة رحبة القشالي، حَدُّ الدار في الشرق دار خرف بن جواد، وفي الغرب دار جلبارت الفرنجي، وفي القبلة دار أبي الحسن بن ذكرى، وفي الجنوب دار مفرج بن عثمان، بثمن عدته أربعون ديناراً من الدينارات الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ من شهر أبريل في سنة واحدة وثلاثين ومئة وألف من تاريخ الصفر».

المثال الرابع: «ابتاع يحيى بن خلف ويحيى بن قريش من بيطر وأنفونش وزوجه يشتى

جميع المنية (البستان) التي لها بمنزل مشكة المعروف من قبل لابن سلمة، والمتصيرة إليهما بالابتياع. . . بثمن مبلغه من الدنانير اثنان وثمانون ديناراً من الدينارات الجارية بمدينة طليطلة حرسها الله حين التاريخ أبريل التي من سنة ألف ومئة وثلاثة وثلاثين».

المثال الخامس: «اشترى ديمنقوس الأرجيقس وديمنقوس القس كنيسة شنت لوقادية خارج مدينة طليطلة حماها الله من ميقال وزوجه بيليه الحصة التي له بدار الخازن، وهو نصف خمسين ونصف القرية، بمبلغه من الثمن خمسة وأربعين ديناراً من السكة الجارية حين عقده، جميع هذا النصف سهله ووعره، عامره وغامره، وسدوده وأرجائه، وذلك كلّه في النصف من شهر مارس من سنة ألف ومئة وخمسة وأربعين، شهد عندي ابن يوانش وعبد الرحمٰن بن. . . .».

المثال السادس: «اشترى مرتين الأرجيد ياقن من يوسف بن يعيش اليهودي جميع الثلاثة جبال الكروم المتصلة التي له بمرطيلة، حَدُّها في الشرق كرم بيطر والجزار، وفي الغرب كرم شلوط، وفي القبلة كرم... بثمن عدته... اثنتان وثلاثون ديناراً من الدنانير الجارية بطليطلة حين التاريخ في شهر مارس الكائن في عام ثمانية وأربعين بعد ألف بتاريخ الصفر، شاهد: سيف بن العزاد، شاهد: إبراهيم بن إسحاق ومرتين الخياط، وعمر بن عبد الله وعبد الملك بن مرتين»[٩١].



المراجع

١ ـ د. راشد المبارك، فلسفة الكراهية، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م.

٢ ـ سورة القيامة: الآيتان ١ ـ ٢.

٣ ـ Political Extremism & Rationality Edited by Albert Breton & Others, Cambridge Univ. Press, 2002, P. xiii.

٤ ـ Renford Bamprough, The Philosophy of Aristotal, Penguin Group, P.307.

٥ ـ د. سعاد جلال، المرجع في علم النفس، منشأة المعارف الحديثة، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص١٦٥.

٦ ـ Kelly Maghan, Hate Crime, Southern Illinois Univ.

٧ ـ D.S. Christopher, Subverting Hatred Orbis Book, New York, 1998, P.25.

٨ ـ د. راشد المبارك، فلسفة الكراهية، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م، ص٤٩.

٩ ـ د. حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧م، ص٢١٠.

١٠ ـ Ref.(7), P.115.

١١ - M.J.Urgence Meyer, Terror in the Mind of God, California Press, 2000, P.27.

١٢ - Ibid, P.8.

١٣ - Ibid, P.24.

١٤ - Ibid, P.44-45.

١٥ - Ibid, P.39.

١٦ - Ibid, P.102-103.

١٧ - Stuart Sim, Fundamentalist World, Incom Books Ltd 2004, P.42-49.

١٨ - عن كل ما تقدّم راجع في ذلك الفصل الذي كتبه الأستاذ منير العكش في مجلة (جسور) التي تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية ٩/ ١٠، ١٩٩٨م، ص٣٠ - ٣٩.

١٩ - Grace Halsell, Prophecy & Politics, Larence Hell & Company, 1986, P.1-3.

٢٠ - Ibid, P.4-7.

٢١ - Ibid, P.8-9.

٢٢ - Ibid, P.11-12.

٢٣ - Ibid, P.48-49.

٢٤ - Malise Ruthven, The Divine Super Market, P.307.

٢٥ - Ref(17), P.59.

٢٦ - The Fundamentals of Extremism, Edited by: Kimberly Blaker, New Boston Inc. 2003, P.114.

٢٧ - Ibid, P.114.

٢٨ - William Martin, the God on Ourside, Broadway Book, 1996. P.353.

٢٩ - Gary North, What are Biblical, Blu Print, Biblical press, 1987, P.270.

٣٠ - Ref(26), P.25.

٣١ - J. Kaplan & Weinberg, The Emergence Of Euro-American Radical Right, Rutgers Univ. Press, London, 1998, P.66-69.

٣٢ - Ref(3), P.23.

٣٣ - Noam Chomsky, Power & Terror ترجمة إبراهيم الشهابي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م، ص٤٤.

٣٤ - M.Akbar, The Shade Of Swords, Routledge, London, 2002, P.262.

٣٥ - Ibid, P.263.

٣٦ - سمير العريفي، صناعة الإرهاب في مناهج التعليم الإسرائيلية، المنار الجديد، ٢٠٠٤م، ص٢٥.

٣٧ - داني كابلان، الخدمة العسكرية تأهيل للذكورة الصهيونية، مجلة أبواب، العدد ١٢٩، دار الساقي، ص٦٥ - ٨٤، ٢٠٠٢م.

٣٨ - ماير لورنس، إسرائيل الآن صورة بلد مضطرب، ترجمة مصطفى الرز، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣٩ ـ سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

٤٠ ـ سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

٤١ ـ سورة يونس: الآية ٩٩.

٤٢ ـ سورة البقرة: الآية ١٤٣.

٤٣ ـ سورة المائدة: الآية ٧٧.

٤٤ ـ سورة النساء: الآية ١٧١.

٤٥ ـ سورة الحجرات: الآية ١٣.

٤٦ ـ سورة الممتحنة: الآية ٨.

٤٧ ـ سورة مريم: الآية ١٤.

٤٨ ـ سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

٤٩ ـ سورة سبأ: الآية ٢٤.

٥٠ ـ د. راشد المبارك، فلسفة الكراهية، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٦٩ ـ ١٧٦.

٥١ ـ طبقات ابن سعد، دار صادر، بيروت، ١٩٨٥م، ص٣٥٧.

٥٢ ـ توماس أرنولد (Thomas Arnold)، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مطبعة النهضة المصرية، ص٨١.

٥٣ ـ المصدر السابق، ص١٠٣.

٥٤ ـ المصدر السابق، ص٨٢.

٥٥ ـ زغريد هونكه، الله ليس كذلك، تعريب غريب غريب، مؤسسة باقارية للنشر، عام ١٩٩٨م، ص١١.

٥٦ ـ توماس أرنولد (Thomas Arnold)، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مطبعة النهضة المصرية، ص١٠٨ ـ ١٠٩.

٥٧ ـ زغريد هونكه، الله ليس كذلك، تعريب غريب غريب، مؤسسة بافارية للنشر، عام ١٩٩٨م، ص٢٠.

٥٨ ـ د. مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، المكتب الإسلامي، بيروت، عام ١٩٨٢م، ص٨٢.

٥٩ ـ أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ص٣٤٤.

٦٠ ـ زكي مبارك، عبقرية الشريف الرضي، الجزء الثاني، المكتبة العصرية، صيدا ـ لبنان، ص٥٣ ـ ٥٨.

٦١ ـ المصدر السابق، ص٥٨.

٦٢ ـ المصدر السابق، ص٦٠.

٦٣ ـ Montgomery Watt, History of Islamic Spain, Univ. Press Edinburg, 1965, P.54.

٦٤ ـ Ibid, P.55.

٦٥ ـ Ibid, P.55-65.

٦٦ ـ Maria Menocal, The Ornament of World, Little Brown & Company, 2002, P.66-67.

٦٧ ـ Ibid, P.67-68.

٦٨ ـ Ibid, P.79-80.

٦٩ ـ Ibid, P.106-107.

٧٠ ـ سورة الأنعام: الآية ٥٧.

٧١ ـ سورة نوح: الآية ٢٧.

٧٢ ـ د. راشد المبارك، فلسفة الكراهية، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٩.

٧٣ ـ Aoront Beek, (Prisoners of Hate) Harper Cullins Publisher, 2000.

٧٤ ـ د. راشد المبارك، فلسفة الكراهية، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م، ص٢٠ ـ ٢١.

٧٥ ـ د. راشد المبارك، قراءة في دفاتر مهجورة، دار أبي حيان، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٧٣.

٧٦ ـ المصدر: الترجمة العربية المتداولة لـ(الكتاب المقدس: العهد القديم والجديد)، دار الكتاب المقدس، جمهورية مصر العربية.

٧٧ ـ نعتذر للقارئ عن اللغة بالغة الركاكة التي تُرجمت بها هذه النصوص. وإن كان المترجمون حريصين على أداء المعنى.

٧٨ ـ حرموا تعني قتلوا.

٧٩ ـ سورة التوبة: الآية ١٢٨.

٨٠ ـ سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

٨١ ـ سورة آل عمران: الآية ١٩.

٨٢ ـ سورة آل عمران: الآية ٨٥.

٨٣ ـ سورة آل عمران: ١٠٢.

٨٤ ـ سورة التوبة: الآية ٣٣.

٨٥ ـ سورة النساء: الآية ٤٨.

٨٦ ـ سورة المائدة: الآيات ٧٢ ـ ٧٥.

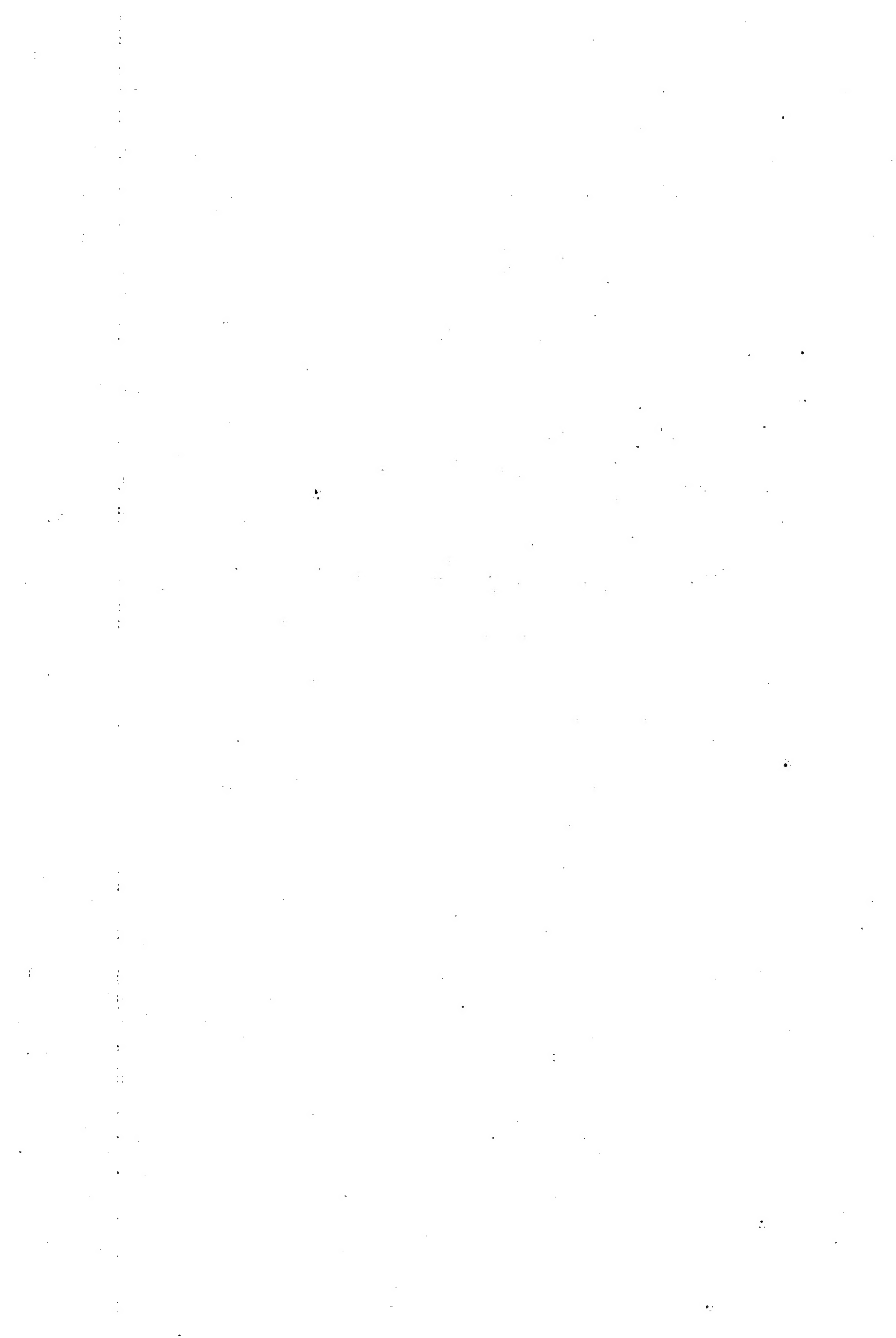
٨٧ ـ سورة البينة: الآيات ٦ ـ ٨.

٨٨ ـ سورة آل عمران: الآية ١١٠.

٨٩ ـ سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

٩٠ ـ توماس أرنولد (Thomas Arnold)، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مطبعة النهضة المصرية، ص٤٧٠.

٩١ ـ راجع: شكيب أرسلان، الحلل السندسية، ١/٣٦٧، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.



الفهرس

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

ص.ب: ٤٥٢٣ هاتف: ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية ـ بيروت

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١ هاتف: ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

www.alkalam-sy.com

